منامات شاعر

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٨١٩/٦/٢٠١٦)

٨١١,٩
حسين، عبد الرزاق الحاج
مناما‌ت شا‌عر/ عبد الرزاق الحا‌ج حسين._
عمان:دارالمأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
(١١٦) ص
ر.أ: (٢٨١٩/٦/٢٠١٦).
الواصفات: / الشعر العربي //العصر الحديث /

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ISBN 978-9957-77-418 -9



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

ديوان شعر

منامات شاعر

شعر الدكتور/ عبد الرزاق حسين

أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م



تساؤل

((صُوَرُ واقِعنا المرِّ حَرْبٌ على النَّوْمِ،

فكيفَ نمتُ؟ وحلمتُ؟ لا أَدْري!))

إهداء

إلى كُلِّ النائمين والحالمين أقول:

هَجْعَةُ النَّومِ عندَ صَرْفِ الَّليالي مركبٌ تائهٌ ببَحرِ الضَّلالِ

تعصفُ الرِّيحُ جانبيهِ وترمي في نواحيهِ باللظى المنهالِ

إِنْ تنَمْ لنْ ترى بنومِكَ حُلمًا غيرَ كابوسٍ رَجْفَةِ الزلزالِ

مُطبِقٍ مُغرقٍ مُذلٍّ مُهينٍ مُلْبِسٍ لِلأَسى وَسوءِ الفِعالِ

فاغْتَنِمْ صَحْوَةً وإِلَّا فَلا لا تأَمَنَنْ عندَها بقُرْبِ الزّوالِ

(١) فاتحة المنامات

تَنْتابُني في النَّوْمِ أَحْـ … ـلامٌ تُلَذُّ وَتُسْتَطابْ

فيها أَسيرُ بِمَرْكَبي … في أَيِّ بَحْرٍ لا أَهابْ

أَعْلو الفضاءَ بِمُفْرَدي … وأَطيرُ مِنْ فَوْقِ السَّحابْ

والحاكمونَ بِإِصْبَعي … يَحْنونَ مِنْ أَجْلي الرِّقابْ

أَحْلى جميلاتِ الدُّنا … حَوْلي يَميسُ بِها الشَّبابْ

تَسقيكَ مِنْ عَذْبِ اللَّمى … وَتعلُّ مِنْ أَزْكى الشَّرابْ

وأَحوزُ كُلَّ المُغْرِيا … تِ وَلَذَّ في الدُّنْيا وَطابْ

والفِعْلُ إِنْ هُوَ شائِنٌ … يَبدو كَأَفْعالِ الصَّوابْ

وَحَرامُهُ حِلٌّ يُرى … والحِلُّ فيهِ المُسْتَرابْ

والوَهْمُ فيهِ حقيقَةٌ … وَحقيقَةُ الحُلْمِ السَّرابْ

ولِذاكَ يَحْلو لي النُّعا … سُ الحلوُ مَعْسولُ الرُّضابْ

فالصَّحْوُ جَلَّابُ الأَذى … والنَّوْمُ جَلَّابُ الرِّغابْ

(٢) أَحْلامُ حالِمٍ

أُقــارِعُ في مَنــامي كُــلَّ قِــرْنٍ   وَأَصْرَعُــهُ بِــأَطْرافِ السِّــنانِ

وأَفْــتَحُ كُــلَّ دانيــةٍ بِســيْفي   وَيَبْلُــغُ كُــلَّ قاصــيةٍ حِصــاني

وَتَخْضَعُ كُــلُّ عاصــيةٍ لأمْــري   وَيَغْــدو أَمْرُهــا طَــوْعَ البَنــانِ

وَأَجْعَلُ مِنْ عميقِ البَحْرِ دَرْبًــا   فَتَمْخُــرُهُ السَّــفائِنُ في أَمــانِ

وَأَبنــي المَجْــدَ في أَرضٍ خَــلاءٍ   ويَعْلو في الوَرى ذِكْري وَشاني

فَحُلْمــي نِعْمــةٌ جَلَّــتْ فَفيــهِ   أُحَقِّقُ ما اسْتحالَ مِــنَ الأَمــاني

(٣) تمنَّيْتُ حُلمًا

تمنَّيْتُ السِّمانَ بِأَنْ أَراها	وَلَوْ في الحُلْمِ لكنْ دونَ جَدْوى
وَتَجْبَهُني العِجافُ وَتَعْتَريني	بِنَوْمٍ أَوْ بِصَحْوٍ أَوْ بِنَجْوى
وَتَنْصَرفُ الكواكبُ عَنْ مِنامي	وَحَتَّى النَّجمُ يَغْربُ ثُمَّ يُزْوى
فَلا شَمْسًا أَرى في نَوْمِ ليلي	ولا قمرًا سماءُ الحُلْمِ قَفْرا
فَيوسُفُ أَيُّها الصِّديقِ عَبِّرْ	أَأَحْلامي بِها خَيْرٌ فَيُرْوى
وَهَلْ أَسْقي وَأُسْقى ماءَ عِزٍّ	أَمِ الأَطيارُ فوْقَ الرَّأْسِ تَرْعى؟

(٤) تَوَهَّمتُ

تَوَهَّمتُ أَنِّي سفينةْ

تَخوضُ البحارَ

بِعَزْمٍ وَحَزمٍ

لِنَيْلِ المَحارِ

وَضَوْءِ الفَنارِ

لَهُ تِسْتَبينَهْ

تَحُطُّ وَتُلْقي بِمَرْساتِها

على كُلِّ ميناءَ تَرْسو

وَكُلِّ مَدينةْ

وَبَعْدَ طوافٍ وَطولِ مَطافٍ

تَعودُ بِظَهْرٍ كثيرِ الغنيمةْ

فَمِنْها: لآلئُ ، أقراطُ ماسٍ، قواريرُ عطرٍ

وأشياءُ أُخْرى ثمينةْ

أُقَدِّمُها مَهْرَ حُبِّي
لِأَحْلى السِّماتِ
وأَغْلى البناتِ
بناتِ القبيلةْ
وَلَمَّا نَشَرْتُ شِراعي
وأَعْلَنْتُ أَنِّي
بدَأْتُ انتِجاعي
غَدَوْتُ بقاعِ البِحارِ رَهينَةْ.

(٥) حلمتُ

حلمتُ بأنّي السُّنونو

أَطيرُ خفيفًا

وَأَلْمُسُ أَهْدابَ غيمِ السَّماءِ

أُنَبِّهُها مِنْ غفوةِ الصُّبْحِ

وَقْتَ انبثاقِ الضِّياءِ

بِلَمْسَةِ حُبٍّ

وقُبْلَةِ شوقٍ

كَشَوْقِ الِّلقاءِ

وأَكشِفُ عَنْها

رويدًا رُوَيْدًا

دِمَقْسَ الغِطاءِ

وَلَمَّا تهيَّأْتُ طارَ السُّنونو

فَطِحْتُ ، سقطْتُ وإِذْ بي

طريحًا بأَرْضِ الفِناءِ

(٦) رؤيا

حَلمْــــت ُ بـــأُمَّتي أُمَّـــةْ   عـــلى الــدُّنْيا لهــا القِمَّـــةْ

عـــلى هـــامِ السُّـــها تَعْلُـــو   لهـــا الرّايـــاتُ كالنَّجْمَـــةْ

تنـــامُ بِخيْمَـــةِ الشِّـــعْرى   إِلى التَّبَّانَـــــةِ الهِمَّـــــةْ

يُوشِّـــحُها وِشـــاحُ النَّصْـــر   يَلْـــبسُ مَجْـــدُها العِمَّـــةْ

لأمْــــرِ اللهِ مَقْصِــــدُها   تُقَـــرِّرُ في الـــوَرى حُكْمَـــهْ

وللتَّوْحيــــدِ دَعْوَتُهـــــا   وَتُعـــلي في الـــدُّنا رَسْـــمَهْ

وبالإِسْــــلامِ وَحْـــدَتُها   بـــهِ تَعْلـــو لهـــا الكِلْمَـــةْ

بِهَـــدْيِ المصـــطفى الهـــادي   نبـــيِّ اللهِ ذي العِصْـــــمَةْ

شـــفاها مِـــنْ عمـــى جَهْـــلٍ   فـــما تشـــكو لـــهُ سُـــقْمَهْ

إلى نـــورِ الهـــدى الوضَّـــا   ءِ يَنْشُـــرُ في الـــدُّنا عِلْمَـــهْ

وَقيَّــــــدَها بــــــإِيمانٍ   فـــلا فَتْـــكٌ تنـــالُ اثْمَـــهْ

وأَخْرَجَهــا مِــنَ الظُّلُــما		تِ والــدَّيْجورِ والعَتْمَــةْ
طريــقُ العَــدْلِ مَسْــلَكُها		وَلِلْجَــوْرِ غَــدتْ خَصْــمَهْ
وَسَــيْفُ الحَــقِّ شِرْعَتُهــا		لِكَشْــفِ الظُّلْــمِ والغُمَّــةْ
وَخَيْمَتُهــا لِكُــلِّ النَّــا		سِ كــلُّ النــاسِ في الخَيْمَــةْ
لكــمْ ديــنٌ لنــا ديــنٌ		وَمنْهَجُهــا هَــوَ الرَّحْمَــةْ
وَيَــوْمَ نَعــودُ للبــاري		يُبَــيِّنُ في الــورى حُكْمَــهْ

(٧) صديقيَ التلفاز

عينايَ تَأْبى ليلَها يَنامْ

أَغْمَضْتُها، أَغْمَضْتُهُ

استرْخَيْتُ فوْقَ فَرْشتي

شربْتُ كوبَ زَنْجبيلْ

أَرْدَفْتُهُ بماءِ وَرْدٍ وابْتَلَعْتُ حَبَّتَيْ زكامْ

أَسْدَلْتُها سواتِرَ الظلامْ

سوى بصيصٍ اسْمُهُ التِّلفازْ

أَنيسُ وِحْدتي مُسامِري في الَّليلِ في النَّهارْ

لكنَّهُ تِلْفازِيَ الحميمُ لم يَعُدْ مُهَذَّبًا

كما مَضى في سالفِ الأَيَّامْ

يُهَدْهِدُ الصِّغارَ والكبارْ

ويمسحُ الدُّموعَ يزرعُ الوئامْ

بَدا غليظَ القلبِ، جَهْمَ الوجهِ مُمْعِنًا في لوثةِ الآثامْ

لا يَرْعَوي، يَشُنُّ حَرْبَهُ ويُعْلِنُ الخصامْ

ويزْعجُ النِّيامَ يُشْعِلُ القلوبَ بالضِّرامْ

وَيَنْثُرُ الحِمامَ في الوُجوهِ يَقْتُلُ اليَمامْ

فيهِ تُقَطَّعُ الرُّؤُوسُ، تُقْلَعُ العيونُ، تُبْترُ الأَقدامْ

بِأَمْرِ سلطانٍ، بِآيَةٍ مُعَمَّمٍ يَدْعُونَهُ الإمامْ

لكنَّني كأَنَّني غفوتُ بُرهةً أَوْ بَعْضَها

كأَنَّني رأيتُ في المنامْ

مدينةً ما مثْلُها

كأَنَّها مِنْ أَلْفِ ليلةٍ مَضَتْ

وليلةٍ تَفُوحُ بالخُزامْ

وجاءَني علاءُ دينِها

يقودُني مِصباحُهُ السِّحْريُّ للأَمامْ

دَخلتُها إِذا بِها مَطْلِيَّةٌ جُدْرانُها بِأَبْيَضِ الغَمامْ

نَسيمُها يَرِفُّ رَفَّ ريشَةْ النَّعامْ

يَفيضُ ماءُ وَرْدِها يَنْهَلُّ بانْسِجامْ

أَريجُها يَفوحُ يملأُ الرُّبى يُعَطِّرُ الآكامْ

أُناسُها وجوهُهُمْ تَطْفَحُ بِالبِشْرِ وَتَقْرأُ السَّلامْ

يُصافحونَ كلَّ عابرٍ يُهدونَهُ منْ لُطْفِهِمْ رَوائِعَ الكلامْ

يعلِّقونَها بِصَدْرهِ في جيدِهْ فِضِّيَةَ الوِسامْ

سُقوفُها أَحْواضُها

مزروعةٌ بالفُلِّ وَالنَّارِنْجِ والرَّيْحانْ

قِطارُها بلا ضَجيجٍ دائمُ التَّجْوالْ

مُحَمَّلًا عَواطفًا

تُهْدَى لِكُلِّ زائِرٍ جَوَّالْ

والحُبُّ في دِنانِها يُباعُ بالمجَّانْ

أَسْواقُها مَليئةٌ تَراحُمٌ، تَلاحُمٌ ، تَسامُحٌ

يُهْدي لَكَ الوَزَّانْ

أبوابُها مُشْرَعَةٌ، شوارِعٌ حَنُونَةٌ

لا تَشْتكي الزِّحامْ

لوْحاتُها على الذُّرى

رأيتُها مضيئةً، تَقولُ بابْتِسامْ

أَهْلًا وَمَرْحبًا بِكُمْ ضُيوفَنا ضُيوفَنا الكِرامْ

(٨) تفسير منام

عَـــوى ثُــــمَّ أَقْعَـــى فَناوَلْتُـــهُ مِنَ الرَّمْيِ سَهْمًا حَديدَ السِّـهامْ

تَـــرَنَّحَ ثُـــمَّ تَلَـــوَّى وقـــامَ إِلَيَّ بِعَـــيْنٍ كَـــوَمْضِ الضِّرــامْ

فَعاجَلْتُــهُ مِــنْ سِـناني سِـنانًا فــمالَ عــلى جَنْبِــهِ ثُـــمَّ نــامْ

وَلَمَّــا دَنَـــوْتُ إِلَيْــهِ اسْــتوى تَشَـــبَّثَ فِيَّ بِعَـــزمٍ هُمـــامْ

وَانْشَـــبَ أَظفـــارَهُ عابِسًـــا يُريــدُ اخْــتِراقَ الُّلهــا بانْتِقــامْ

سَلَلْتُ مِنَ الجَيْـبِ لي خِنْجَـرًا لَــهُ سُــمٌّ أَفْعــى وَحَــدُّ الحُسـامْ

يُشِــعُّ بريقًــا كَلَمْــعِ الــبُروقِ وطَعْــمٌ مَريــرٌ كَطَعْــمِ الــزُّؤامْ

فَأَدْخَلْتُـــهُ جِسْــمَهُ فاسْـــتَقَرَّ بِبَيْتِ الكُـلى وبِصُـلْبِ العِظـامْ

تَزَلْــزَلَ ثُـــمَّ هَـــوى ســاقِطًا كقَلْعَةِ حِصْـنٍ هَـوَتْ لِانْهِـدامْ

ذَهَبْـــتُ لشــيخٍ لِتَأْويلِــهِ فَبَشَّرَـــني بانْتِصـــارٍ هُـــلامْ

وَأَنَّ انْتِصـــارَ منـــامٍ بِلَيْـــلٍ سَحابَةُ صَـيْفٍ تُسَـمَّى الجَهـامْ

وقــالَ بَــأَنَّ الــذي لا يــرى إِلى النَّصْرِ دَرْبًا ســوى فِي المَنـامْ
مَريضٌ عَلَيـهِ استِباقُ الخُطـى لِطَــبٍّ يُعــالجُ مِنْــهُ الفِصــامْ

(٩) سِنَةُ نَوْمٍ

فِي رقْدَةٍ عِنْدَ الظَّهيرةْ

والشَّمْسُ في وَقْدَتِها

شديدةٌ مُبيرَةْ

وَكُنْتُ قَدْ أُتْخِمْتُ تُخْمَةً عسيرةْ

مِنْ أَكلَةٍ يَدعونَها المضيرةْ

وقبْلَها كَرَعْتُ في صَحْنَيْنِ منْ حريرةْ

تَلَتْهُما فطيرةْ

أَتْبَعْتُ ذاكَ كُلَّهُ

كُنافَةً بِقَطْرِها شهيرةْ

نَعِسْتُ بلْ غَفَوْتُ غَفْوَةً قصيرةْ

رأَيْتُ أَنَّني على

أَبْوابِ قَلْعَةٍ على أَسْوارِها أَميرةْ

تُشيرُ لي بِشالِها

هَيَّا تعالَ وانْقِذِ الأسيرةْ

نَظَرْتُ حَوْلي هالَني

ما حَوْلَها مِنْ قُوَّةٍ

بِجُنْدِها كَثيرةْ

أَيْقَنْتُ أَنَّ حيلَتي

قاصِرَةٌ فقيرةْ

فما عسايَ والجنودُ حَوْلَها

سيوفُهُم رماحُهُمْ شهيرةْ

وفجأَةً إذا بجيشٍ قادمٍ

جحافلٍ غفيرةْ

اللهُ رَبِّي صَيْحَةٌ

مِنْ جُنْدِهِ المُغيرَةْ

تَعْلو تميدُ فَوْقَنا

كأَنَّها زلازلٌ مِنْ تَحْتِنا

أَوْ رجفةٌ خطيرةْ

أَيْقَنْتُ أَنَّها إِشارةٌ

قَدْ أَعْلَنَتْ نفيرَةْ

جَهَّزْتُ نَفْسي وامْتَشَقْتُ ما مَعي

وَعِنْدَ سورِها اصطَدَمْتُ في الجِدار فارتَمى

مِنْ هَوْلِها الحصانُ في حَفيرَةْ

صَحَوْتُ كالملدوغِ صارِخًا وَإِذْ

وَجَدْتُ وَجْهي غارقًا بِصَحْفَةِ المضيرَةْ

(١٠) في المنام

رأيـــــتُ في منــــامي
سِرْبًـــا مِـــن الحـــمامِ

في لوْنِـــــهِ الأَنيــــقِ
كَـــأَبْيَضِ الغَـــمامِ

يَطـــيرُ نَحْـــوَ الغَـــرْبِ
يســـــيرُ بانْتِظـــامِ

في لَوْحَـــةٍ مَرْســـومَةٍ
كَلَوْحَـــةِ الرَّسَّـــامِ

ظَلَلْـــتُ أَرْنـــو نَحْـــوَهُ
أُقْرِئُـــهُ ســـلامي

وَهْـــوَ عـــلى عُلُـــوِّهِ
يَـــرُدُّ بابتِســـامِ

سَـــأَلْتُهُ مُـــرادَهُ
عَـــنْ قَصْـــدِهِ المُـــرامِ

فقـــالَ إِنِّي ذاهـــبٌ
لِرَوْضَـــةِ الأَحْـــلامِ

مَدينَـــةٍ مـــا مِثْلُهـــا
مِـــنْ روْعَـــةِ الإلهـــامِ

جمالُهـــا كأَنَّـــهُ
وَهْـــمٌ مِـــنَ الأَوْهـــامِ

إلى رُبـــى قُرْطُبَـــةٍ
فَوَّاحَـــةِ الآكـــامِ

مَـــنْ كانَـــتِ الـــدُّنيا بهـــا
تُقـــادُ بالزِّمـــامِ

تلـــكَ التـــي راياتُهـــا خَفَّاقَـــةُ الأَعْـــلامِ
هِـــيَ التـــي قـــدِ أَنْجَبَـــتْ مفـــاخِرَ الإســـلامِ
مِـــنْ عـــالمٍ مُعَلِّـــمٍ وفـــارسٍ مِقْـــدامِ
وَهْـــيَ التـــي قـــدْ أَشْـــعَلَتْ مبـــاهِجَ الأَيَّـــامِ
حتَّـــى أَنـــارَتْ كَوْنَنَـــا بِشُـــعْلَةِ الأَفْهـــامِ
شَمْسًـــا غَـــدَتْ في فَضْـــلِها مَفْخَـــرَةَ الأَنـــامِ
فقلْـــتُ لَيْـــتَ لَيْـــتَ لي : أَجْنِحَـــةَ الحَـــمامِ

(١١) حورية الأحلام

بدعوة كريمة من أخي الفاضل رجل الأعمال المهندس عبد الله بقشان "أبو فيصل" كانت زيارتنا لجزيرة سوقطرة، فكانت هذه القصيدة التي أهديها إليه.

رأيتُ في المنامْ

كأنَّني في زورقٍ

يمضي مع الأوهامْ

من حولِهِ أمواجُ بحرٍ

رقصُها محيِّرٌ ، وشدوُها أنغامْ

وفجأةً رسا على شواطئٍ رخيّةٍ

فِضِّيَةٍ كريشةِ النّعامْ

رأيتُها يا روعةَ الكلامْ

تعدُّ في الأنامْ

حوريةَ الأحلامْ

رقيقةً أنيقةً كالحُورِ في الخيامْ
كَظَبْيَةٍ تَرْعى براعمَ الأراكْ
والشادنُ الصغيرُ خلفَها
بصوته البغامْ
وقِطُّها في حضنها
يفوحُ مِسْكُهُ
كروضةِ الآكامِ
من فوقِ رأسِها يطير
سربٌ من اليمامْ
يرفُّ شوقُهُ إلى
رؤى الشِّفاهِ تَلْتقي
ليبدأ العناقُ والغرامْ
هناكَ للأشجارِ موعدٌ يُرامْ
جذوعُها على الأشواقِ تلتقي
تُدْعَى دمَ الإخوانْ

وترتقي لتنظُرَ الطلوعَ والغيابْ

هناكَ عندَ الشاطئِ الفضيِّ تحتفي الرمالْ

وترقصُ الأشجارُ والحَمامْ

لأنَّ بهجة البحارِ تستعدُّ الآنْ

لتبدأَ الحَمَّامْ

بضوءِ نورِ الشمس ، من قطرِ الغمامْ

ناديتُها من أنتِ يا مليكةَ الأوانْ ؟

تبسَّمتْ بِبَسْمةٍ أَضاءتِ المكانْ

أنا رفيقةُ الشفَقْ

حبيبةُ الأُفُقْ

ورونقُ الزَّمانْ

سوقطرةُ الهيامْ

جزيرة سوقطرة الخميس ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٨م

(١٢) أَأَلْقاكِ ...؟

"مُهداة إلى: الدكتورة /جويل جواتيللي تدسكي.

منسقة قسم الترجمة بجامعة غرناطة"

أَأَلْقاكِ ...؟

ذاكَ سؤالُ المدى

سؤالٌ يُلِحُّ يَعُمُّ الصَّدى

وتنقلُهُ الرِّيحُ في كُلِّ فَجٍّ

شمالاً جنوبًا وشرقًا وغربًا

تسيلُ بهِ الغادياتُ دُجىً أَوْ ضُحى

وعندَ السُّرى

تفيضُ بهِ الأرضُ يعلو ويعلو

تعانقُ أَمواجُهُ عالياتِ الرُّبى

***

أَأَلْقاكِ ...؟

ينثالُ نورٌ يُضيءُ الدُّجى

وينهلُّ فرحٌ ويُسْتَلُّ جُرحٌ

فأَضحكُ أَبْكي

لأنَّ السؤالَ بِطَعمِ الهناءِ

وَحَدِّ الـمُـدى

***

أَأَلْقاكِ ...؟

حقًّا أَرى مُنْيتي

وأَرْشِفُ مِنْ شفتيكِ الـمُنى

أَحقًّا أُحَلِّقُ في مقْلتيْكِ

وأَنشُرُ في البحرِ منها شِراعي؟

أُقَبِّلُ فيكِ زمانًا مَضى

وأَهْمِسُ في أُذنَيْكِ التياعي؟

***

نعمْ أنتَ تَنْعَمُ في حِضْنِها
وحقًّا تُحَدِّقُ في وَجْهِها
فهيًّا هَلُمَّ وضُمَّ الجوانِحَ منها
وبالفَتْلِ فاعْقِدْ حبالَ اليدينِ على خَصْرِها
وحاذرْ
فغرناطةُ الحبِّ مهوى القلوبِ
فحَبُّ القلوبِ عليها كحبّاتِ رُمَّانِها
وبادرْ لعقدِ قرانٍ وثيقٍ
وسابقْ
فلستَ الوحيدَ بميْدانِها
وإنْ كُنتَ أنتَ كما تَدَّعي
بأَنَّكَ أَشْهَرُ عُشَّاقِها

غرناطة في يوم الأحد ٢٨/ ٧/ ١٤٣٦هـ الموافق ١٧/ ٥/ ٢٠١٥م

(١٣) حوار في بهوِ السِّباع

يـا سِـباعَ القَصْرِ- أَيْـنَ السَّـبُعُ　　أيـنَ أهـلُ القصْرِ- أَيْـنَ الرَّبُـعُ؟

هَلْ مَضَـوْا في نُزْهـةٍ أَمْ أَنَّهُـمْ؟　　غادروهُ، أَمْ قَضـوا لمْ يرجعـوا؟

أَقْعَـتِ الأُسْـدُ وقالـتْ قولـةً　　نَـزَفَ القلـبُ لهـا والأَدْمُـعُ

أَيُّهـا السَّـائِلُ لا تَسْـأَلْ فَهُـمْ　　غادَروا والقلـبُ فـيهمْ موجَـعُ

نحـنُ في هَـمٍّ وَغَـمٍّ مـثلما　　سـارَ أَعْمـى في فـلاةٍ أَقْطَـعُ

أَيُّهـا السَّـائِلُ عـنْهُمْ إِنَّهُـمْ　　تُرْبُ هذي الأرضِ فيها زَرَعـوا

زَرَعـوا العلـمَ بُـذورًا أَيْنَعَـتْ　　وصـنوفُ الفـنِّ فيـهِ بَرَعـوا

فَشموسُ العزِّ مِـنْهُمْ سَـطَعَتْ　　وبِهِـمْ أَقمارُهـا تَرْتَفِـعُ

حَصَّـنوا الـدُّنيا بِعَـدْلٍ وَتُقـىً　　وَطريـقَ الرِّفْـقِ نَهْجًـا شرَعـوا

رَكَـزوا راياتِهِمْ فـوقَ الـذُّرى　　وعـلى الآفـاقِ ذِكْـرًا رَفَعـوا

مـلأوا الأَرْضَ علومًـا زانَهـا　　كُـلُّ فَـنٍّ مـاتعٌ بـلْ أَروَعُ

فَزَهـا القَصْرُ- بِهِـمْ مُبْتَهِجًـا　　وزَهَـتْ فيـهِ نُجـومٌ تَلْمَـعُ

كـــانَ رَوْضًـــا لِظِبــاءٍ رُتَّــعٍ ... وَبِـــهِ الغِــزْلانُ تَعْــدو تَرْتَــعُ
إِنْ يَكُــنْ عِنْـدَكَ مِـنْ أَنْبـائِهِمْ ... خَـــبَرٌ فيـــهِ سُرورٌ يُمْتِـــعُ
فاعْجُلِ القـوْلَ فإِنَّـا في جَـوًى ... مَنْذُ أَنْ قـدْ غـادروا مـا وَدَّعـوا
نَزَفَ الجُـرْحُ وَغامَـتْ أَدْمُعـي ... أَلَمًـا ضُـمَّتْ عليـهِ الأَضْــلُعُ
وَسَرى في السَّمْعِ صوتٌ نادِبٌ ... وَبَكَـتْ إِثْـري الـدِّيارُ البَلْقَـعُ

غرناطة في يوم الأربعاء ٢/ شعبان ١٤٦٣هـ
الموافق ٢٠/ ٥/ ٢٠١٥ بمناسبة مؤتمر الترجمة تراد كول

(١٤) عَلِّلَاني

عَلِّـلَاني بِـذِكْرِها وانْشُـدا لي مِنْ جَميلِ القَصيدِ يَشْرَحُ بالي

عَلِّلاني بِذِكْرِها عَلَّ قلبي يَكْتُمُ الآهَ في عُرى الآمالِ

ذَكِّراني بماضٍ سَعِدْناهُ يومًا في ذُراها كُنّاهُ أَسْعَدَ حالِ

واشْرحا لي عنْ بيْتِها ذاكَ بَيْتي إنَّ بيتَ الحبيبِ منْ رأسِ مالي

وَقِفا عنْدَ سُورِهِ ثُمَّ نادُوا باسْمِها تُشْرِقُ الدُّنا باللآلي

إنْ أَطَلَّتْ أَهَلَّ بالنُّورِ فَجْرٌ وانْثالَ نَبْعُ الهنا كما الشَّلالِ

كالثُّرَيّا شُبّاكُها حينَ تَهْفُو وهيَ كالبَدْرِ في سَوادِ اللَّيالي

حَوْلَ شُبَّاكِها أَدُورُ وَأَمْضي كَفَراشٍ مُتَيَّمٍ باشْتِعالِ

ردِّدا حَديثَها العَذْبَ إنِّي لِحَديثِ الحبيبِ شَوْقُ ارْتِحالي

واذْكُرا لي حِماها ورَوْضًا تباهي حينَ تاهَ الثَّرى بِنَفْحِ الغَوالي

إنْ مَشَتْ فَوْقَهُ تَناهى ارْتِفاعًا حَتَّى غَدا في ارْتِفاعِهِ كالجبالِ

وغَدا الزَّهْرُ حَوْلَها كَغُيُومٍ حَفَّتِ الشَّمْسَ في ذُرى الآصالِ

إنَّ نفسًا إنْ لامستْ منْكِ هُـدْبًا   لَهْيَ نَفْسٌ مِنَ النُّفوسِ العَـوالي

اسْمُها العَذْبُ طِيبُهُ لَيْسَ يُنسى   يَشْرَحُ الصَّـدْرَ فَوْحُـهُ ويُغـالي

صَـبَّروني عـنْ بُعْـدها بمقـالٍ   مـنْ حكـيمٍ مؤلِّـفِ الأَمثـالِ

قالَ: إنَّ البعادُ إِنْ طـالَ يُنْسـي   فغيـابُ العيـونِ أَعْظَـمُ سـالِ

قلتُ كـلا: فَبُعْـدُها زادَ نـاري   عيلَ صَبْري فَذاكَ فَوْقَ احْتِمالي

إنَّ شَـــوْقي لمـــرآكِ يومًـــا   لوْ بعمْري قدْ قايَضُـوا لا أُبـالي

بُعْدُكِ اليومَ سَـعَّرَ القلـبَ نـارًا   شُـعَلُ النَّـارِ أَضْرَمَـتْ بِلْبـالي

إنَّها القدسُ جذْوَةُ الحُبِّ تبقـى   أَبَدَ الدَّهْرِ بلْ سَـجيسَ الَّليـالي

(١٥) ثراكِ داري

عصا التسيارِ ما قرَّتْ قرارا ... وما رضيَتْ بغيرِ ثراكِ دارا

لأرضِ المغربِ العربيِّ تمضي ... ركائبُ حُبِّنا جازتْ قفارا

وتعبرُ فوقَ بحرِ الشَّوْقِ تَطْوي ... مراحلَهُ اختيارًا لا اضطرارا

فزادُ رحيلِها شوقٌ قديمٌ ... على جنبيَّ يستعرُ استعارا

وحبٌّ في الحنايا يحتويني ... ويُشعلُ في الجوانحِ منهُ نارا

ولمّا أنْ وصلتُ ربطتُ شوقي ... وسرُّ الحُبِّ عادَ بها جِهارا

على عَتَباتِها أَوْقَفْتُ شِعْري ... وجيَّشْتُ القصيدَ بِها فَمارا

على الرَّقْراقِ سالَ الدَّمْعُ مِنِّي ... فَسالَ النَّهْرُ مِنْ دَمْعي وَسارا

دُمُوعُ الشَّوْقِ لِلْأَحْبابِ عُرْسٌ ... وَدُرٌّ لِلطّلى كالعِقْدِ صارا

فرؤيةُ نهرِها الرَّقراقِ حُلْمٌ ... يضيءُ بخافقي برقًا مُثارا

إلى مرّاكشٍ يعدو جوادي ... مدينةِ مجدِنا تزهو افتخارا

وشاحُ العزِّ جمَّلها فصارتْ ... بهِ صنْوينِ قَدْ لَبِسا إِزارا

ومكنــاسُ العريقــةُ دارُ قــومٍ بَنُوهـا مـنْ نُضـارِ الفخـرِ دارا

بهـــا آثـــارهُمْ تَزْهُـــو وَتَعْلُـــو وَلا زالَــتْ عـلى الـدُّنيا مَنـارا

غَدَتْ قُطْبَ المَـدائِنِ في المَعـالي وَفاقَتْهـــا وَباهَتْهـــا فَخـــارا

وَذي فــاسٌ تجلَّــت في حُلاهــا عروسًـــا حَلْيهـــا لا لا يُعـــارا

بـــلادٌ زانَهـــا علـــمٌ وحِلْـــمٌ وللإسـلامِ أَصْـبَحَتِ الـدِّيارا

بِفَضْلِ الفارسِ البطـلِ المجـلّي بعقبـةَ كُلِّلَـتْ نصـرًا وغـارا

إلى البحرِ المحيطِ مضى بجيشٍ وحـاوَرَ موجَـهُ أَلْقَـى اعْتِـذارا

فَعُمْقُكَ يـا مُحيطُ قُيـودُ خَيْلي وَلولا ذاكَ خُضْتُ بِها البِحـارا

لِتَطْـوانٍ وَطَنْجَـةَ سـارَ مُهـري وَمُهْـري لا يُشـقُّ لَـهُ غُبـارا

وَقَفْتُ أَمُدُّ مِنْ بَصَـري حِبـالًا لِأَنْـدَلُسٍ فَتـاهَ بِهـا وَحـارا

أَصَخْتُ السَّمْعَ نَحْوَ المَوْجِ أُصْغي تُنادي سـيفَها الأَمضـى غِـرارا

ليوسـفٍ ابـنِ تَشْـفينٍ تُغنِّـي أَغـاني المَجْـدِ تَرْفَعُهـا شِـعارا

جَمالُـــكُ يوســـفيٌّ في جِهـــادٍ ويَعقوبُ احْتِسـابًا واصْـطبارا

لِأَنْـدَلُسٍ مَضَـى يَحْمـي حِماهـا وزيَّنهـــا وَقـــارًا وانْتِصـــارا

ووحَّـدَ أَرْضَـها وَأَعـادَ مِنْهـا ضِياعًا كانَ ضـيَّعها السّـكارى

فَنضَّـرَ وَجْهَهـا بِـالآيِ تُـتْلى وَعَطَّـرَ جَيْبَهـا وَلَهـا أَنـارا

عَلا التَّكبيرُ يَصْـدَحُ في عُلاهـا وَعَطَّلَ فيكِ ناقوسَ النَّصـارى

وعـادَ الشَّـدْوُ فيهـا يَعْرُبِيًّـا وَفي الأَرْجاءِ قَدْ سَكبَ النُّضارا

فَيا ابْنَ المَغْرِبِ العَـرَبِيِّ شَـوْقي إِلى أَمْجادِنـا لا لا يُجـارى

وَحُـبُّ المَغْـرِبِ العَـرَبِيِّ فينـا عَلِقْنـاهُ رَضـعْناهُ صِـغارا

وَظَـلَّ كَتِرْبِنـا نَنْمُـو وَيَنْمُـو وَهـا نَحْـنُ نُتَوِّجُـهُ كِبـارا

وَلَمّـا زادَ شَـوْقي في حِماهـا عَقَدْتُ العَزْمَ أَنْ أُبْقي الجِـوارا

فَأَلْقَيْتُ العَصا في أَرْضِ وجْدي وَقَرَّتْ أَعْيُني وَغَـدَوْتُ جـارا

بِأَرْضِكِ يا رِباطُ رَبَطْتُ شَوْقي وَفي جَنَباتِهـا شَـيَّدْتُ دارا

(١٦) رسالة إلى أبي تمام

عقدت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين دورتها الرابعة عشرة "دورة أبي تمام الطائي" في مدينة مراكش بالمغرب، فكانت هذه القصيدة.

أَنَبْعَ الشِّعْرِ نبعُكَ قدْ سَقاني — مِنَ الماءِ المصفَّى في الأواني

أَوانٍ مِنْ صفاءِ المُزْنِ أَنْقى — وعذبُ شرابِها فوقَ البيانِ

أَوانٍ مِنْ بديعِ القولِ صارتْ — سبيلَ مُوَلَّهٍ يَهْوى المعاني

وَوِرْدًا للعطاشِ بكلِّ أرْضٍ — وساقيةً تسيرُ هيَ السَّواني

فشعرُكَ قدْ سَبا عَقْلي وَقَلْبي — وأَنْساني مُغازلةَ الحِسانِ

أَنبعَ الشِّعرِ نبعُكَ قدْ سَباني — وفاضَ مع الزَّمانِ على الزمانِ

أبا تمَّامٍ الأيَّامُ تروي — قصائدَكَ الحِسانَ لها أغاني

وتُنْشِدُها بأَصواتِ العذارى — تُنَغِّمُها بأَوْتارِ المثاني

رياضُ قَصيدِكُمْ للطَّيْرِ مَغْنى — وعذبُ نشيدِها ثمرٌ دَوانِ

كقَطْرِ الطلِّ في الأَعوادِ يجري — فتورِقُ كلُّ أغصانِ الجِنانِ

رفعتَ السيفَ فوق الشِّعْرِ لكنْ ... بِشِعْرِكَ غـرَّدَ السَّـيْفُ اليَماني
بِعَمُّورِيَّـةَ انتصـفتْ سـيوفٌ ... على القـولِ المزركشِ والبيانِ
بصـدقِ السيفِ إنْبـاءً وحَـدًّا ... ولـيسَ بغـيره طلـبُ الطِّعانِ
فسارَ القولُ منـكَ مسـيرَ دهـرٍ ... بصـدقِ الحـدِّ حـدِّ الهنـدواني
إذا صدقتْ مقولةُ صدقِ سيفٍ ... بمعتصمٍ فهـلْ نحظـى بثـانِ؟
فـذاكَ السـيفُ للإيـمانِ حـدٌّ ... وحـدُّ سُـيوفِنا طلـبُ الأمـانِ
حقيقـةُ صِـدْقِها في ذبـحِ أهـلي ... وخِلْبُ حَديثِها في رفْـعِ شـأني
وحدُّ حَديدِها مـاضٍ بـذبحي ... وعنـدَ عـدوِّنا تشـكو تُعـاني
تُلَمَّعُ في العُـروضِ بهـا نُبـاهي ... نُزيِّنُهـا بزهـرِ الأُقحـوانِ
ونرفعُهـا عـلى أكتـافِ ذُلٍّ ... وَنَعْرِضُـها بأَسْـواقِ الهـوانِ
عـلى رفِّ المتـاحفِ قـدْ تراهـا ... مُرَصَّـعةً بِـدُرٍّ أَوْ جُمـانِ
وأحيانًـا نُقَطِّـعُ كَعْـكَ عـرسٍ ... لذاكَ تُعَـدُّ مِـنْ جنْسِ الأواني
فما كانَـتْ سـيوفُكَ يـا حبيـبٌ ... كسيفِ زمانِنـا الخَـرِعِ الجبانِ
فسيفُ زمانكم إنْ قـالَ صـدْقًا ... فسـيفُ زمانِنـا كـذبًا يُعـاني

فــلا ســيفٌ يُفيــدُ ولا غَنــاءٌ بِــتُرْسٍ أَوْ بِــرُمْحٍ أَوْ عِنــانِ
فقد ذهبَ الرِّجالُ وجاءَ خِلْفٌ أَضــاعَ الحــقَّ واتَّبَــعَ الغــواني

مراكش ٢٧/ ١٢/ ١٤٣٥هـ
الموافق ٢١/ ١٠/ ٢٠١٤م

(١٧) رسالة إلى لوركا

"إلى فيديريكو غارثيا لوركا الذي أشاركُهُ عشقَ غرناطة"

هُـمْ أَعْـدَموكَ لِتَنْتَهـي فَحَيِيتـا ... وَهُمُ الذين مَضوْا وأنـتَ بَقيتـا
مِنْهُمْ لَقيتَ مِنْ الأَذى نارًا لظى ... بِسَـعيرِ غـدْرِهِمُ أُذِقْـتَ لَقيتـا
هُمْ أَشْعَلوا نـيرانَهُمْ وعـداءَهُمْ ... بِنبـالِ حِقْـدِهِمُ المُميـتِ رُميتَـا
ظَنُّـوا بسـلبِهِمُ حياتَـكَ أَنَّهُـمْ ... يَحْيونَ، خابوا، والخلودَ جُزيتـا
رَفْرِفْ على جبلِ "السييرا" مُنْشِدًا ... واكتُبْ على صَدرِ الغيومِ بيوتـا
مِنْ شعركِ الزاهي قصيدةَ عاشقٍ ... لِيَفيضَ "دارو" و"الشنيلُ"(*) مُلِيتـا
وانْظِمْهُ عِقْدًا مـنْ لآلـئِ دُرِّهـا ... وأَفِضْ عليْها شَـوقَكَ المكبوتـا
وإِلى جرنـادا فـدريكو فَاهْـدِهِ ... ثَبِّتْـهُ فـوقَ جَبينِهـا تَثْبيتـا
تَأْتيـكَ رافلـةً بثـوبِ عبيرِهـا ... والشَّـوْقَ مِنْهـا زَهْـرَهُ أُهْـديتا
عَطَسَتْ جِنانُ عَريفِها بأَريجِها ... فَشَـدَتْ بلابِـلُ أَيكِهـا تَشْـميتا

❊ ❊ ❊

(❊) " دارو" و "الشنيل": نهران في غرناطة .

لوركا، كلانا يـا صـديقي نَبْتَـةٌ سُقِيَتْ بـماءِ حَضـارتي وَسُـقِيتا

فأنا وأنتَ على المـدى غرناطـةٌ ولــئِنْ تفــرَّقَ جَمْعُنــا تَشْــتيتا

سَـنَعُودُ نملَؤُهـا نَشـيدَ بَلابـلٍ وَنَفُـتُّ مِسْـكَ وِدادِنـا تَفْتيتـا

(١٨) رمانةُ قلبي غرناطة

حبُّ الرُّمانِ يناجيني

حبُّ الرُّمانِ ينادينِي

حــبُّ الرُّمــانِ لــهُ طعــمٌ أزكــى مِــنْ فــوْحِ الليمــونِ

أَنْــدى مــنْ غــيمٍ وســحابٍ مــنْ رفِّ نســيمٍ وغصــونِ

***

يا ولدي أقبل يا ولدي

صوتٌ رنّانٌ يدعوني

صوتٌ في لونِ الرُّمّانِ

طعمٌ كالسحر يواتيني

أشهى من عسلٍ ممزوجٍ

في ماءٍ من نبعِ عيونِ

***

يقظانٌ أسمعُ أَمْ أَنِّي

في حُلُمٍ أبدو وظنونِ؟

حُلُمٌ يدفعني كشراعٍ

والدَّفَّةُ شوقي وحنيني

مجدافي يعدو كي يرسو

في برٍّ حنانٍ وَسُكونِ

الصوتُ لأمي يشبههُ

في لهفةِ شوقِ المحزونِ

من أينَ وأمي قد غابت

من بضع مئاتٍ لسنينِ

أَقْبِلْ يا ولدي يا كبدي

الصوتُ يعودُ يناديني

فَهَبَبْتُ أُغالبُ من نومي

وفركتُ عيوني وجفوني

فَصَحَتْ منْ حولي أمجادٌ

راياتُ العزِّ وتمكيني

وعلى فرسٍ أشهبَ تبدو

فارسةٌ من أُسْدِ عرينِ

نادتني أقبلْ يا ولدي

بالضادِ بلفظِ موزونِ

منْ مَبْسَمِها سِحْرٌ يجري

كالشَّدْوِ لذيذِ ومبينِ

أُمِّي يا أُمِّي يا أُمِّي

أُمِّي غرناطةُ تُؤْويني؟!

يا فرحةَ قلبي يا أُمِّي

قد عُدْتِ فَعَوْدُكِ يُشْجِيني

صَدْرُكِ مَرساتي لرسُوِّي

والحضنُ مَلاذي وحُصوني

يا صوتَ الَّلهفةِ يا شوقي

يُطربُني صوتُكِ يُحييني

* * *

ودنوتُ دموعي تسبقني

ألثمُها خدًّا بجبينِ

لكنْ فوجئتُ وفاجأني

أمرٌ حَوّلني كطعينِ

أمي تبدو في شكلين أَراها في عينِ يقيني

فأراها كَرْمًا بعذوقٍ

فيهِ منْ عنبٍ منْ تينِ

وأراكِ يبابًا بلْ تيهًا

كقديم مُواتِ العُرجونِ

فصرختُ أُنادي وأُنادي

أُمِّي يا شوقي وفُتوني

يا بحرًا من فيض حنانٍ

يا صدرَ رؤومٍ وحنونِ

قد صِرْتِ عقابي لصدودي

وجزائي وعذابَ الهونِ

بل كْنتِ شفائي ودوائي

فغدوتِ كدائي وجنوني

يا شمس الدفْءِ ودفْءَ الشمسِ

وكنزَ المجدِ المدفونِ

يا بؤبؤَ عيني وشغافي

يا لؤلؤَ صدري المكنونِ

يا رحلة شوقي وعذابي

يا ذكرى طيري الميمونِ

قد كنتِ لنا وعدَ المحبوبِ

فصرتِ وعيدَ المحزونِ

قد كنتِ سهولي ورياضي

فغدوتِ صعابي وحزوني

قد كان القُرْبُ يؤانسني

فغدوتِ ببعدِكِ تَرميني

إنْ كنتُ ببيعِكِ محزونًا

فأنا بالبيعِ كمغبونِ

أيًّا ما كُنْتِ فأَنتِ أَنا

رمانةُ قلبي وعيوني.

(١٩) وِقْفة على نهر قرطبة

على النهرِ الكبيرِ وقفتُ أُحصي جراحـاتٍ لهـا في القلـبِ نـزْفُ

على أمواجـهِ العـبراتُ تجري ويغلبُ موجَهُ كَسْـفٌ وَخَسْـفُ

أُذاكـــرُ عنـــدَهُ عِـــزًّا ومجْـــدًا أُمَـــزِّقُ لَـــوْعَتي فيهـــا وأَرْفـــو

وتَسْـــبيني عليـــهِ ذكريـــاتٌ ويـــأتي المجـــدُ يَسْـــبِقُها وَيَهْفـــو

يُــــذكِّرني تدفقُـــــهُ بمجـــــدٍ لــهُ الأقــمارُ تُهْــدى بــلْ تُــزَفُّ

وأمجـــادٌ بجيـــدِ الـــدَّهْرِ تَبْـــدو قلائـــدُ دُرِّهـــا سَـــبْكٌ وَرَصْـــفُ

وجـــيرةُ فتيـــةٍ زانـــوا عصـــورًا وعَـــيْشٌ طيِّـــبٌ لهـــوٌ وَقَصْـــفُ

مراكـــبُ حُبِّنـــا تمضـــي عليـــهِ وحُـــورٌ حَـــوْلَ مجـــراهُ تَحُـــفُّ

جمالٌ جَلَّ عنهُ الوَصْـفُ حتَّـى أقرَّ الوَصْفُ أنَّ الوَصْفَ ضَعْفُ

وغامـــتْ أَعْيُنـــي فَرأَيْـــتُ أَنِّي إلى الزَّهـــراءِ لي رَكْـــبٌ يخِـــفُّ

فَشِمْتُ جمالَها فَسَبَتْ شُـعوري وخِلْـتُ كـأنَّ لي عُرْسًـا يُـزفُّ

وَيَحْضُرُهُ الجهابِذُ مِنْ رِجالٍ   هُمُ أعلوا البناءَ لنا وَوَفُّوا
بَنوا الأمجادَ صفًّا إِثْرَ صفٍّ   فَغَيْمُ سمائِهِمْ بالنصْرِ وَكْفُ
وَيَبْدو طارقُ الميمُونُ ذِكْرًا   وَمُوسى ذلكَ البَطَلُ الأَعَفُّ
وهذا الدَّاخِلُ الصَّقْرُ المُجلِّي   وأَحفادٌ لهُ بالمجدِ حَفُّوا
ويقدمُهمْ مُقدَّمُهمْ ورأسٌ   عليهِ النَّصْرُ والأمجادُ وَقْفُ
بِناصرِ دينهمْ ذاكَ المُكنّى   عظيمٌ ما لهُ في الناسِ وَصْفُ
ومنْ بينِ الحضورِ غضنْفَريٌّ   لهُ الحُكّامُ قد خَضَعوا وَصَفُّوا
هُوَ المنصورُ أعلى ذِكرَ قومي   بتاريخٍ لهُ غزوٌ وزحْفُ
ولكنِّي صَحَوْتُ فصاحَ رَوْعي   وَعاوَدَ واقعي رَعْفٌ وَنَزْفُ
وَعُدْتُ أَبُثُّ لِلمَوْجاتِ حُزني   وأَسرُدُ قصَّتي ويغصُّ عَصْفُ
أَيا ذا النَّهْرِ نَهْري قدْ عَداهُ   عَنِ الجريانِ نَحْوَ الوِرْدِ وَقْفُ
سُدودٌ أَغْلَقَتْ سَيْرًا وَمَجْرى   وَعَيْنُ النَّبعِ إنْ هُجِرَتْ تَجِفُّ

هـي الـدُّنيا صـفاءٌ ثـمَّ كَـدْرٌ   كـماءِ النَّهـرِ يعكـرُ ثـمَّ يَصْـفو

رَشَفْنا مِنْ كؤوسِكَ ما رَشَـفْنا   كـؤوسُ العـزِّ نهـلٌ ثـمَّ رشْـفُ

ملوكٌ فـوقَ هـذا النَّهْـرِ سُـدْنا   إلينـا كـانَ مُلْـكُ الأرضِ يَهْفـو

فَروَّحَ سـامرٌ وانفـضَّ عُـرْسٌ   وغـارَ العـامِرونَ لـهُ وخَفُّـوا

(٢٠) بيني وبين ابن حمديس

يقـول ابـن حمـديسَ في لوعـةٍ "قضتْ في الصبا النفسُ أوطارَها"(*)

وبعـدَ مـرور سـنين الشـبابِ وقـد أبـدلَ الـدَّهرُ عُمّارَهـا

تغـيَّرَ عهـدُ النعـيمِ فـذقتُ شربـتُ مـن الصَّـابِ مُرَّارَهـا

"ذكـرتُ صـقليَّةً والأسـى يهـيِّجُ للـنفسِ تـذكارَها"

فقلـتُ وقـدْ زادَ مِـنْ لـوعتي وهـيَّجَ في الـنفسِ إعْصـارها

لهيَّجْـتَ مِنِّـي مكـامنَ شـوقٍ وأيقظـتَ في الـرُّوحِ أكـدارَها

فكيـفَ بمـن نفسـه لم تـزلْ تحـنُّ وتشـتاقُ أوكارَهـا

ولم تقضِ ذامًا ولم تقـضِ حقًّـا وغُـرِّبَ عَنْهـا وَمـا اخْتارَهـا

"فإنْ كنتُ أُخرجتُ من جنَّـةٍ فـإنّي أُحـدِّثُ أخبارَهـا"

فأخبارُها يا ابنَ حمديسَ لا تَنْـ ـتهي تَطـولُ وتمـلأُ أسـفارَها

(*) ما بين بين التنصيصين من شعر ابن حمديس الصقلي.

فسفرُ الجمالِ وسفرُ الجلالِ ... وأخرى تخبِّئُ أسرارَها

إليها النبيُّ سرى ليلةً ... وجابَ السَّماءَ وأقطارَها

فلسطينُ أرضٌ ولا مثلُها ... فقد باركَ اللهُ أَحْجارَها

يُضاحِكُها كلُّ غيمِ السَّماءِ ... وتُضْحِكُ في الأرضِ أزهارَها

بلادٌ تفيضُ الحيا والنَّدى ... وتمزجُ بالشَّهْدِ أثمارَها

بلادٌ حَباها الإلهُ جمالًا ... فَنُوَّارُها ضاءَ أنوارَها

وأنوارُ نوْرِ الرَّبيعِ التي ... على اللَّيلِ تُطلعُ أقمارَها

حمامٌ يمامٌ بلابلُ شَدْوٍ ... تُحرِّكُ لِلشَّدْوِ أَوْتارَها

نَسائِمُ مِنْ حاملاتِ الأَريجِ ... تكادُ تُجلِّلُ أقطارَها

وَوَرْدٌ وَفُلٌّ وريحانُها ... يَفوحُ يُعطِّرُ دوَّارَها

فبوركَ تُرْبٌ بها طاهرٌ ... وأهلٌ وباركَ زوارَها

فإنِّيَ أُبْدِلْتُ مِنْ جنَّةٍ ... بنارِ اغْترابٍ غَلَتْ قارَها

فنـــارُ اغْـــتِرابي جَحـيمُ لظـىً | تُســـعِّرُ في جَسَـــدي نارَهـــا
غـــدوْنا بهـــا نَصْــطلي حَرَّهـــا | حَمَلْنــا عــلى الظَّهْــرِ أَوْزارَهـــا
فَقَدْ عَظُمَ الخَطْبُ خَطْبٌ هَمَى | وفجَّـــرَ في العَـــيْنِ أَنْهارَهـــا
وحلَّـــتْ بِنـــا نَكْبَـــةٌ أَحْرَقَـــتْ | مِــنَ الحَــرْثِ والنَّسْــلِ آثارَهـــا
وعاثــتْ عصــاباتُ بَغْــيٍ بِهـــا | أَحَلَّـــتْ بـــأَرْضِيَ أَشْرارَهـــا
وفرَّقــتِ الأَهْــلِ أَيْــدي سَــبا | فَصِــرْنا عــلى الأَرْضِ أَغْمارَهـــا

(٢١) خريدة القصر

أتيـــتُ أســـألُ عـــن ســـمراءَ فاتنـــةٍ

بعيـدةِ القُـرْطِ مهـوىً بنـتِ عشرـينِ

هيفـــاءَ لفّـــاءَ في حُسْـــنٍ وفي غَيَـــدٍ

غـــرّاءَ فرعـــاءَ في لُطْـــفٍ وفي لـــينِ

نجـلاءَ كحـلاءَ عـينُ الـرِّئمِ تحسُـدُها

والشـمسُ لوعتُهـا مـنْ ضُرَّةِ الطـينِ

والرِّيـــقُ كالشَّـــهْدِ عـــذبٌ لا يماثلـــهُ

إلاَّ جَنـى النَّحْـلِ مـن زهـرِ البسـاتينِ

وخـــدُّها الشَّـــفقُ الوضّـــاءُ مـــأتَلِقٌ

كـأنَّما صِـيغَ مـن أَزْهـارِ نَسْرـينِ

وشـــاحُها الغـــيمُ عـــينُ اللهِ تحرسُـــها

مـــن شرِّ حاســـدةٍ أَوْ شرِّ ملْعـــونِ

عِقْـــدُ النُّجـــومِ يـــزينُ النَّحْـــرَ لؤلـــؤُهُ

وفي المعاصِـــمِ أَطـــواقُ الريـــاحينِ

ريّانـــــةُ القـــــدِّ تبـــــدو في أسرَّتِهـــــا

مليكـــةَ الحُسْـــنِ في زيِّ الســـلاطينِ

لهـــا الغـــمامُ وصـــيفاتٌ عـــلى قـــدمٍ

والبـــدرُ يرقـــبُ خطْـــواتِ المحبّـــينِ

صـــفُّ الكواكـــبِ عـــنْ أَيمانهـــا حـــرسٌ

عـــلى الشـــمالِ نجـــومٌ بـــالملايينِ

تســـارَرَ القـــومُ فـــيما بيـــنهم عجبًـــا

هـزّوا الـرؤوسَ وقـالوا هـذرُ مجنـونِ

أينَ التي مـن صـفاتِ السـحرِ مـا وُصِـفَتْ

جنيَّـــةُ البحـــرِ أمْ حوريَّـــةُ العـــينِ؟

فقلـتُ يـا قـومُ مـا وصـفي لهـا عَجَـبٌ

العُجْـــبُ فيهـــا فوصـــفي لا يُـــواتيني

وبيـــــنما نحـــــنُ في قيــــلٍ وفي جـــــدلٍ

بدتْ لنـا مـن خِـدْرِها كالـدُّرِّ مكنـونِ

"وجدْتُها "صحتُ مِنْ شـوقي ومـن وَلَهي

إليَّ هَيَّــــا أَيــــا بِنْــــتَ الميــــامينِ

هـــذي المـــرامُ وهـــذي بُغيتـــي طَلَبـــي

هـــيَ الحبيبـــةُ حِـــدْسي لا يُعَنِّينـــي

خريـــدةُ القصـــرِ لا أَرْضى بهـــا بـــدلًا

أَبْهـــا البَهِيَّـــةُ ذاتُ الصَّـــوْنِ والـــدِّينِ

رَضـيعَةَ الغَـيْمِ يـا بِنْـتَ السَّـحابِ خُـذي

ما شـئتِ منِّـي ومـنْ عَيْنَيْـكِ فـارْويني

أبها في ذي القعدة ١٤٣٤هـ/
الموافق ٩/ ٢٠١٣م

(٢٢) غضبة المكيال

غضـــبَ المكيـــالُ قـــالْ: كـــلُّ شيءٍ بي يُكـــالْ
مِـــنْ نُضـــارٍ أَوْ خُضـــارٍ أَوْ حِجـــارٍ أَوْ رِمـــالْ
وَحديـــــدٍ ونُحـــاسٍ وغِـــــراسٍ وغِـــــلال
وَزَنُـــوا زَهْـــرًا وَشـــوْكًا بِيَمـــــــينٍ وَشِـــــمالْ
وَزَنُـــوا حُبًّـــا وكُرْهًـــا وَمِـــن الـــدَّاءِ العُضـــالْ
وَزنُـــوا قـــالًا وقـــيلًا وَزَنُـــوا جِسْـــمَ المُحـــالْ
وخلطـــــتُمْ كـــــلَّ وَزْنٍ بِحـــــرامٍ وحَـــــلالْ
وتَطَفَّفْـــــتُمْ زَعَمْـــــتُمْ بأَمـــانٍ مِـــنْ نَكـــالْ
وضَـــــعوا في كِفَّتَـــــيَّ مِـــنْ قبـــيحٍ وجَمـــالْ
وادَّعـــوا ميـــزانَ قِسْـــطٍ يـــا لَهـــا دَعْـــوى احتيـــالْ

* * *

غَضـــبوا مِـــنْ بـــوشَّ يومًـــا حـــينَ أَرْغـــى حـــينَ قـــالْ

كـــلُّ مَـــنْ لـــيسَ مُعينًـــا   فهـــوَ ضِـــدٌّ لا محـــالْ

غــــيَّرَ الأَوْزانَ بــــوشٌ   وبِمِكْيــــاليْنِ كــــالْ

***

قلــتُ: يــا قــومِ اَراكُــمْ   مــــنْ عبيــــدِ المُتعــــالْ

ولكـــمْ في كـــلِّ حـــينٍ   دعــــواتٌ وابْتهــــالْ

وأَرى مــــنكم يُصــــلي   لكتــــابِ اللهِ تــــالْ

وتقولــــونَ بــــأَنَّ الــــدِّ   ـــينَ نهــجٌ ومِثــالْ

وعــلى الــرَّغْمِ مشَــيْتُمْ   سرْتُــمُ دربَ الضَّــلالْ

ونهجــتُمْ نهــجَ بــوشٍّ   ولكـــمْ سَــبْقُ المجــالْ

وَأَقمْـــتُمْ أَلْـــفَ ميـــزا   نٍ بميـــزانِ اخْـــتِلالْ

فقريـــبٌ في الهـــوى   وزنـــهُ وزْنُ الجبـــالْ

ولـــئنْ كـــانَ خفيفًـــا   مثـــلَ ذَرٍّ مِـــنْ نِـــمالْ

هُـــوَ إِنْ أَخْطـــأَ دَوْمًـــا   فَلـــهُ كـــلُّ النَّـــوالْ

وَهْـــوَ إِنْ غـــابَ وإِنْ خـــا   بَ فـــأَهْلًا بالرِّجـــالْ

وقبـــيحٌ منـــهُ يُـــرْضى   كجميـــلٍ مِـــنْ فِعـــالْ
وبعيـــــدٌ لا يُـــــدانى   فـــالهوى فيـــهِ اعـــتلال
هُـــوَ إنْ أَخْطـــأَ يوْمًـــا   عثـــرةٌ ليســـتْ تُقـــالْ
وإذا لبّـــــى سريعًـــــا   ركْضُـــهُ ركـــضُ الغـــزالْ
قيـــلَ أَبْطـــأْتَ فحـــاذرْ   ســـوفَ تُـــدْعى للسُّـــؤالْ
لـــيسَ إنْ أَحســـنَ فِعْـــلًا   أَحْسَـــنُوا فيـــهِ المقـــالْ
بـــلْ لـــهُ عيـــبٌ وَوَصْـــمٌ   وسْـــمُهُ وَسْـــمُ الجِـــمالْ
حمـــدُهُ يُطْـــوى ويُنْســـى   ذمُّـــهُ أَدْنـــى مَنـــالْ

***

صَـــمَتَ الميـــزانُ حينًـــا   وبِعيْنَيْـــــــهِ أَجـــــالْ
قـــالَ: يـــا إخْـــوَةَ دينـــي   لـــيسَ مـــا يُـــدْرَى يُقـــالْ
فـــاتَّقوا يـــوْمَ حِســـابٍ   يـــومَ نُـــدْعى للسُّـــؤالْ
فهنـــاكَ الـــوَزْنُ للحقـــ   ـــقِ تعـــالى ذي الجَـــلالْ

(٢٣) هي الجزائر

هِـــيَ الجزائـــرُ صَـــدَّاحٌ بِهـــا الفـــالُ

والعـــزُّ والنَّصْـــرُ في أَوْصـــالها صـــالوا

تشـدو عـلى الـدَّوْحِ أطيـارٌ بهـا صَـدَحَت

مـا أعـذبَ اللحـنَ والأَنْغـامُ مـوّالُ

هـــيَ الجزائـــرُ مـــنْ أَنْســـامها عَبَـــقٌ

والبِشْـرُ والسَّـعْدُ في رَوْضـاتها جـالوا

هـــيَ الجزائـــرُ تبـــدو في أسرَّتهـــا

في رونـــقِ الفجـــرِ إقبـــالُ وإهـــلالُ

في دوحـــةِ العـــزِّ أشـــجارٌ لهـــا ســـمَقتْ

ورفرفـتْ في ذُراهـا السَّـروُ والضَّـالُ

هـــيَ الجزائـــرُ شـــعبٌ لا مثيـــلَ لَـــهُ

لطـــفٌ وعطـــفٌ وإيثـــارٌ وإفضـــالُ

الصَّــبرُ والنَّصْــرُ مِــنْ قِنْــوانِ نخلتِهــا

والمجــدُ مِــنْ تُرْبهــا صــاغَتْهُ أَبطــالُ

إنْ قيــلَ أيــوبُ في صــبرٍ وملحمــةٍ

فأنــتِ للصــبرِ تــذكارٌ وتمْثــالُ

أو قيــلَ في الصَّــبْرِ أقــوالٌ مــردَّدةٌ

فأنــتِ للصَّــبْرِ أَشْــعارٌ وأَمثــالُ

للهِ درُّكِ كــم ســطَّرْتِ ملحمــةً

ســارتْ بهــا النــاسُ أجيــالٌ وأجيــالُ

جاهَــدْتِ في اللهِ يــا بنــتَ الكــرامِ ففــي

جهــادكِ الفــذِّ إعجــازٌ وإجــلالُ

بهــا رجــالٌ عــلى الإيــمان قــد وقَفــوا

أرواحَهُــمْ وإلى دوحاتــهِ مــالوا

بــاعوا نفوسًــا لأجــلِ اللهِ مــا بخلــوا

فالمجــدُ غــالٍ ودونَ المجــدِ أَهْــوالُ

غابَــتْ عــن الرَّكــبِ والآمــالُ ترقبُهــا
حتــى ظننَّــا بــأنَّ البعــدَ قتّــالُ
مــن عيننــا سُرقــتْ غصبًا وقــد عُصبتْ
عينــاكِ يــا مُهْجَتــي، والقيــدُ أَغــلالُ
كــانَ الفرنســيسُ قــد ظنُّــوا ظنــونَهُمُ
بأنَّهــا لقمـــةٌ تحلــو وسَلْســالُ
وكــان قــد غــرَّهمْ مــنْ أمرِهــا دِعَــةٌ
وأنَّهــا مــن بنــاتِ العُــرْبِ مِكســالُ
بيضــاءُ فرعــاءُ تبــدو في غلالتِهــا
لــونَ الضــياءِ عــلى الآفــاقِ يختــالُ
جمــالُ شــمسِ الضــحى تصــفو لناظِرهــا
كأنَّهــا روضــةٌ والآنُ آصــالُ
إنْ أدبــرتْ فغيــومُ الشَّــوْقِ تَتْبَعُهــا
أو أقبلــتْ فعبــيرُ الوجــدِ هطّــالُ

لــــو أنَّ بـــدرَ الــــدُّجى يرنـــو لفاتنـــةٍ

لغـــرَّهُ القـــدُّ والأعضـــاءُ والخـــالُ

في ظلمـــةِ الكهـــفِ أَلْقوهـــا مكبّلـــةً

وفي المعاصـــمِ أغـــلالٌ وأقفـــالُ

وأَبْـــدَلوا بلســـانِ العُـــرْبِ لَثْغَـــتَهُمْ

وبالقرابـــةِ يُنســـى العـــمُّ والخـــالُ

قـــالوا الجزائـــرُ منّـــا قطعـــةٌ رجعـــتْ

لِحِضْـــنِها الأَصْـــلِ مـــيراثٌ وأمـــوالُ

عضَّـــتْ عـــلى الجـــرحِ آمـــادًا فـــراودَهُمْ

مـــنْ جهلِهِـــمْ أَنَّـــهُ ضـــعفٌ وإذلالُ

لكـــنَّ عفّتَهـــا ثـــارتْ، وعزّتُهـــا

أبـدتْ شـموخًا وألغـتْ كـلَّ مـا قـالوا

ولقَّنـــتهُم دروسًـــا في شـــجاعتِها

كـــأنَّهم في دروسِ الحـــربِ جُهّـــالُ

صارتْ شَموسًا وفي حلقِ الفرنجِ شجىً
تبَدَّى بها في فنونِ الحربِ رِئْبالُ
من تحتِ أقدامِهِمْ مادَ الثَّرى بهِمُ
كأنَّ تحتَ الثَّرى رَجْفٌ وَزِلْزالُ
لاقتْ فرنسا جحيمًا لا مثيلَ لهُ
وقضَّ مضجعَها خوفٌ وأَهْوالُ
وشعبكِ الحرُّ أبدى كُلَّ تضحيةٍ
في كفِّهِ الروحُ والأخرى بها المالُ
بإخوةٍ أقسموا باللهِ إنَّهُم
لا يُطْعَمونَ ولا يَهدى لهم بالُ
حتى تعودَ كما كانت بأوَّلِها
لا لثغةُ الراءِ تَعْروها ولا الغالُ(*)

(*) الغالُ: الاسم القديم لفرنسا.

لمركـــب الضـــادِ تمضـــي لهفـــةً وهـــوىً

ومركـــبُ الضَّـــادِ أشـــواقٌ وآمـــالُ

فعـــادَ للوجـــهِ ســـمتٌ في أصـــالتهِ

يَنْمَـى لِيَعْـرُبَ مـا حالَـتْ بـهِ الحـالُ

فهـــا هـــيَ اليـــومَ في فســـتانِ فرْحتِهـــا

لســـانُها الضـــادُ والإســـلامُ سرْبـــالُ

جئنـــاكِ نســـتافُ طيبًـــا لا مثيـــلَ لـــه

يـا حُقَّـةَ الطيـبِ منـكِ الطِّيـبُ يَنْثـالُ

مستغانم ١٠/ ٢٠١٢م

(٢٤) "أَنْدَلُسِيَّة"

دعاني الحبيبُ الدكتور محمود الحليبي إلى منزلٍ أتمَّ بناءَهُ، فوجدتهُ قد اقتطع قطعةً مِن الأندلسِ وقطعةً منْ قلبي، ومزجهما بشاعريتهِ، فكانت هذه الأندلسية:

لمنزلِــكِ الموشَّــحِ بــالجمالِ ... تحيــةَ عاشــقِ السِّــحْرِ الحــلالِ

أَهــذا منــزلٌ أَمْ بيــتُ شِــعْرٍ؟ ... تنــادَتْ فيــهِ آيــاتُ الجــمالِ

بَــدَتْ في رســمهِ آيــاتُ فــنٍّ ... زَهَــتْ في ثــوْبِ وشْيٍ بــلْ لآلي

وَصُغْتَ قصيدةً تَحْلــو وتَعْلــو ... عــلى كــلِّ القصــائدِ والمقــالِ

أَعَــدْتَ بــهِ لأنــدلسٍ حيــاةً ... حيــاةَ ليــاليَ الأُنْــسِ الخــوالي

بِلوْحــاتٍ مُنَمْنَمَــةٍ عليهــا ... زخارفُ مِــنْ بــديعِ الفــنِّ عــالِ

كــأَنِّي في مجالِســها وَحَــوْلي ... قِيــانٌ شِــبْهُ رِئْــمٍ أَوْ غــزالِ

خرائدُ في الدِّمقْسِ مُسربلاتٍ ... يُرقِّصْــنَ العقــولَ مِــنَ الرِّجــالِ

وتصــدحُ فيــهِ أَنْغــامٌ وشِــعْرٌ ... تُعيــدُ الخاليــاتِ مِــنَ الليــالي

بصوتٍ لابــنِ زيــدونٍ حَنــونٍ ... تُطارحــهُ الحبيبــةُ في دلالِ

فــذي ولَّادةٌ تشــدو تُغَنــي وتـرقُصُ بالوشـاحِ وبالحجـالِ

تقولُ لـهُ وقـدْ هامـتْ غرامًـا "أَنـا واللهِ أَصْـلُحُ لِلْمَعـالي"

يضجُّ الكونُ مِنْ عشقٍ وحُـبٍّ ويزهو الرَّوضُ مِنْ ماءِ الوصالِ

فيا مَنْ تسـكنُ القلـبَ الحنايـا رجـائي بـل دعـائي وابتهـالي

بـأَنْ تَحيـا أَبـا العـزَّامِ فيـهِ وطالِعُكَ السُّـعودُ وسَـعْدُ فـالِ

ليلةَ الأحد في الطريق من الأحساءِ إلى الظهران

١/ ٧/ ١٤٣٤هـ - ١١/ ٥/ ٢٠١٣م

(٢٥) زحلة

علـى ربـوة مـن بـلاد الشـآم	رأيـــتُ فتـــاةً كبـــدرِ الـــتَّمامْ
بلبنـانَ تَرْعـى زهـورَ الرُّبـى	ونـورَ الأَقـاحِ وَعِطْـرَ الخُـزامْ
وتغـزلُ مـن شـعرها غيمـةً	تظلِّـلُ عشَّـاقَ هـذا الأنـامْ
تفـرُّ الـلآلِيء مـن حِضْـنها	ومـن وجنَتَيْهـا يطـيرُ الحَـمامْ
بِـوادِ العـرائشِ أَقْـدامُها	تُـداعبُ نبـعَ الصَّـفا والوئـامْ
غَدَتْ تَسْتَحِمُّ بِضَوْءِ الضُّحى	فَشَـعَّ الضِّـياءُ وغنَّـى الـيَمامْ
ولمّـا تَعـرَّتْ لحمَّامِهـا	تَـنَفَّسَ صُـبْحٌ وَوَلَّى ظَـلامْ
وأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ مِنْ جيـدِها	شـمُوسُ الجَـمالِ دَواءُ السِّـقامْ
تَسـاقَطَ مِنْهـا نَضـيدُ الجُـمانِ	تَجـدْوَلَ نهـرًا بـديعَ النِّظـامْ
وغـالَبني الشَّـوْقُ في نَظْـرَةٍ	يُخالِطُهـا في الحـلالِ الحـرامْ
تسـاءَلْتُ: جنيـةً مـا أَرى	سألتُ الرَّوابي سـألتُ الأكـامْ
سألتُ الرياضَ سألتُ الورودَ	سـألتُ الطيـورَ وكُـلَّ الأنـامْ

أَجابَ النَّدى وَأَجابَ المدى ... أَجابَ الضِّياءُ أَجابَ الظَّلامْ

أَتَجْهَلُ مَنْ نَفْحُها روضةٌ ... أَتَجْهَلُ وَجْهًا كَمِسْكِ الخِتامْ

رَضيعةَ طلٍّ رضيعةَ ظلٍّ ... وَتَشْرابُها مِنْ حَليبِ الغَمامْ

أَتَجْهَلُ اسمًا غَدا غِنْوَةً ... لِكُلِّ الشَّوادي وَحتَّى السَّوامْ

أَتَجْهَلُ زَحْلَةَ نَبْعَ الصَّفا ... وَنَبْعَ الحنانِ وَبِنْتَ الكِرامْ

(٢٦) المُطَبِّلونَ وموسوعة جينيس

لقــد أَجــروا لهُــمْ عــدًّا فــما أَحْصُــوا لهُــمْ عــدَدَا
وقــالوا نســلُهم أضــحى بـــأُفقِ الأرضِ مُمْتـــدا
ويمــلأ مشرــقَ الــدنيا، ومغربَهــا بــهِ احتشَــدا
وســـاحوا في بوادينـــا غبــارًا ثــارَ واشــتدّا
ففــي السّــاحاتِ حشــدُهُمُ يســدُّ فضــاءَها ســدًّا
بهــذا الحشــدِ مِــنْ فَــرَحٍ بــدا الشــيطانُ مُعْتَــدًّا
وقــالَ: الأكثــرونَ حصــى ونحــنُ البــالغين مــدى
و "جينيسًــا" ســندخلها بحشــدٍ صــارَ مُعْتَمَــدا
لحــاهُ اللهُ مِــنْ حَشــدٍ وأحصــاهُمْ لنــا عــدًّا
فــذي قُطعــانُهم تــتْرى تفــوقُ العــدَّ والحــدّا
جنــودًا للــوغى كــانوا لأهلــيهم غــدَوْا ضِــدّا
وشرطــتَهُمْ لحفــظِ الأمــنِ مــنهم خوفُنــا ارتــدًّا

وحكّامًـــــا لأقضــــــيةٍ قُضـــاةً أَخلفـــوا العَهْـــدا
فصـــارَ الحـــقُّ لا يُرْعـــى وعنــــــدَهُمُ غـــــدا إدّا
فـــــما بَـــــرُّوا بـــــأَيْمانٍ وخـــانوا العهــدَ والوَعْــدا
وفي الإعــــلامِ ترصُـــدُهُمْ كطوفـــانٍ طغـــا مـــدّا
غـــرابُ البـــينِ أشـــياخٌ عـــلى أعوادِهـــا هـــدَّى
وينعـــبُ في ديـــاجي الليـــــلِ يملـــؤُ ســـمْعَها حمـــدا
لأَفّـــــــاكٍ وجبّـــــــارٍ بســـيفِ الظُّلـــمِ قـــدْ أَرْدى
نفوسًـــــا أَعْلـــتِ الإيـــما نَ أَهْـــدتْ روحهـــا رِفْـــدا
لـــدينِ الله قـــدْ خرجـــت تصــــوغُ ثنـــاءَهُ مجـــدا
بوجـــهِ الظُّلـــمِ صرْخَـــتُهُم تقـــول لـــهُ كفـــى صَـــدّا
عـــنِ الإيـــمانِ والتقـــوى كفـــى ظُلْـــمًا كفـــى حِقْـــدا
فـــأفتى كـــلُّ طبّـــالٍ بـــأَنَّهُمُ هـــمُ الأعـــدا
لِسَـــيْفِ الظُّلـــمِ فتـــواهُمْ بِهـــا أَعلُـــوا مَـــنِ ارتـــدا
لـــهُ صـــاروا كَحِلْيَتِـــهِ وصـــاروا الحَـــدَّ والغِمْـــدَا

فكلُّهُـــمُ غـــدا نعـــلًا وأبواقًـــا لـــهُ جُنـــدا
فـــلا خجـــلًا مِـــنَ اللهِ ولا جبهـــاتهُم تَنْـــدى
وكُلُّهـــمُ عـــلى طبـــلٍ فـــلا يغفـــو ولا يهـــدا
فقـــرعُ الطَّبْـــلِ فرْضُـــهُمُ لِلَـــيْلِهِمُ غـــدا وِرْدا
بألســـنةٍ كجلـــدِ الطبـــلِ مُـــدَّتْ في الخنـــا مَـــدّا
بـــدربِ الغِـــيِّ قـــد سارتْ تظـــنُّ ضـــلالَهَا رُشْـــدا
لحِـاهُم ـيـا لهـا ـتُلْحـى كأوْتـــارْ زَهَـــتْ شَـــدَّا
لمزمـــارٍ وأعـــوادٍ أناشـــيدٌ لهـــمْ تُشْـــدا
تَـــرى مـــنْ كـــانَ مُفتِـــيَهُم يُـــرَدِّدُ مدحـــهُ وَجـــدا
يعـــودُ يُـــدَوْزِنُ الأَوتـــا رَ مـــا أحـــلاهُ لي عَـــوْدا
فـــما أغـــلاهُ مِـــنْ عَـــوْدٍ وَمـــا أَرضى لـــهُ نِـــدّا
فضـــربُ الطَّبـــلِ يُحيينـــي يشـــدُّ أَواصري شـــدّا
ويجعلنـــي عـــلى ذِكْـــرٍ فـــذكري صـــارَ مُمْتَـــدّا
حيـــاتي أشرقـــتْ فأنـــا حيـــاتي ســـعْدُها أَبْـــدى

وجـــــوقتُهُمْ تُردّدُهــــــا حيــاتي أَشرقـــتْ ســعدا
يمنُّـــونَ النفـــوسَ بهـــا وعيشًــا نــاضرًا رغْــدا
غـــدوا للعبـــدِ أقيانًــا وأنعامًـــا لـــهُ تُهْـــدى
فهُـــمْ صـــاروا رَكُوبَتَـــهُ قلائــصَ تحتَـــهُ تُحْـــدى
لَـــهُ ذَلُّـــوا لَـــهُ خضــعوا هـــواهُمْ صـــارَ مُعْتقـــدا
وقامــــــاتٍ منكّســـــةً وُجُوهًــا قــدْ بــدتْ رُبــدا
وآذانًـــــا مجوّفـــــةً بهــا وقــرٌ عــن الأهــدى
وألســـنةً غــدتْ خرســاءَ أعـــيُنَ قـــدْ بـــدتْ رُمْـــدا
فـــلا كـــانوا ولا صـــاروا غثــاءُ الســيلِ بـــل أَردا
فـــذي أَحـــداثُ قصّـــتِنا بهـــزلٍ يشـــبهُ الجِـــدَّا

الجمعة بتاريخ ١٢/ ١٠/ ١٤٣٥هـ الموافق ٨/٨/ ٢٠١٤م

(٢٧) جزاء

أَهْدَيْتُ كُلَّ أُمَّتي

تحِيَّتي ... مَوَدَّتي

وَصِدْقَها بُنُوَّتي

وَكُلَّ ما في جُعْبَتي

***

جَعَلْتُها قَضِيَّتي

أَبْرَزْتُها هَوِيَّتي

إِنْ سِرْتُ سارَتْ صُحْبَتي

أَوْ نِمْتُ نامَتْ رِفْقَتي

فَفي المنامِ رؤْيَتي

وَهْيَ الرُّؤى في صَحْوَتي

تُؤْنِسُني في وِحْدَتي

وهْيَ سميرُ خَلْوتي

* * *

أَشْدو بِها .. أُغْنِيَّتي

على لساني خُطْبَتي

كَتَبْتُها في لَوْحتي

قصيدَتي .. روايتي

حَفِظْتُها في مُقْلَتي

أَعْطَيْتُها مِنْ فِلْذَتي

لمْ أَدَّخِر لشَيْبَتي

* * *

وَعِنْدَما قَدَّمْتُ طَوْعًا مُهْجَتي

أَلْقوا عليَّ القَبْضَ لَيْلَ فَرْحَتي

قالوا: بأَنِّي جاحدٌ لِمِلَّتي

عَقَقْتُها أُمومَتي

وَفي بُنودِ تُهْمَتي

بأَنَّني أَيْقَظْتُها مِنْ غَفْوَةٍ

نَبَّهْتُها مِنْ رَقْدَةٍ

فالسِّجْنُ قالوا: لا يَفِي

كبيرةٌ جَريرَتي

تشاوَروا تَحاوروا في فِعْلَتي

وأَصْدَروا قرارَهمْ

بِوَضْعِ حَبْلِهِمْ بِرَقْبَتي

قالوا : تَمَنَّى. قُلْتُ : قبلَ مَوْتتي

يا إِخْوَتي .. أُمْنِيَّتي

أَنْ تُحْسِنوا في قِتْلَتي

وَتَدْفِنوني في عُيونِ أُمَّتي

(٢٨) حاءٌ وراءٌ

عِشْقي لحاءٍ ثُمَّ راءْ

عِشْقُ الكفيفِ إلى الضِّياءْ

عِشْقُ السَّقيمِ إلى الشِّفاءْ

عِشْقُ العقيمِ إلى الْوَلَدْ

عِشْقُ الغريبِ إلى البلَدْ

حاءٌ وراءٌ للجَسَدْ

عِشْقٌ على العِشْقِ اسْتبَدْ

هما العمادُ والسَّنَدْ

يا ليْتَ لي يا إخْوَتي

حَرْفَيْنِ مِنْ حاءٍ وراءْ

(٢٩) ش م و خ

شوقي لشينٍ ثُمَّ ميمٍ

ثُمَّ واوٍ ثمَّ خاءْ

شَوْقُ الحبيبِ بعدَ هَجْرٍ للقاءْ

شوقُ الدَّعيِّ ظامئٍ إلى انْتِماءْ

شوْقُ العِطاشِ لانتعاشٍ بِارْتِواءْ

❋ ❋ ❋

شوقي لها شوقٌ سَرى

كطيفِ حِبٍّ في الكرى

عاجَلني ثُمَّ جَرى

مثْلَ سَرابٍ قدْ عرى

❋ ❋ ❋

يا لَيْتَهُ يأْتي كَما

تأتي الغيومُ في الشَّتا

حاملةً قطْرَ النَّما

والأَرْضُ تخضَرُّ، مَتى؟

(٣٠) إباء

حروفهــا تعنـــي المضـــاءُ والســـناءُ والعـــلاءْ

لروْضـــتي هـــيَ البهـــاءُ والـــرُّواءُ والغنـــاءْ

لِنَبْتَتـــي هـــيَ الِّلحـــاءُ والسَّـــداةُ والغِشـــاءْ

لِصُـــبْحِنا هـــيَ الـــرُّواءُ والبهـــاءُ والضـــياءْ

وفي مَســـائِنا السَّـــناءُ والهنـــاءُ والرجـــاءْ

في أَرْضـــنا يـــا لَيْتَهـــا تَنْـــوي البقـــاءَ والثـــواءْ

وفي ســـمائِنا شـــمسٌ عـــلى الـــدُّنيا ذُكـــاءْ

وَدُونَهـــا نحيـــا الغثـــاءَ والعـــزاءَ والهبـــاءْ

هـــيَ النَّجـــاءُ والشِّـــفاءُ إِخْـــوَتي هِـــيَ الإبـــاءْ

(٣١) م ج د

حُروفُهُ لحنٌ صدى   عَذْبٌ كَنْهرٍ قَدْ جَرى

وَلَوْنُهُ كما الورو   دُ مُشْرقاتٌ بالنَّدى

أَريجُهُ نَشْرُ بريـ   ـحِ الياسمينِ قَدْ سَرى

ميمٌ كماءٍ فائرٍ   منْ عينِ ينبوعِ الذُّرى

جيمٌ تجودُ جودُها   طوفانُ عزٍّ قدْ طما

دالٌ ديارٌ سَقْفُها   عالٍ يُطاولُ السَّما

قَصْرٌ مُنيفٌ قدْ مضى   والعزُّ فيهِ قدْ ثَوَى

شُرْفاتُهُ كانتْ لنا   نوافِذًا إلى العُلا

مِنْها نُداعبُ الغيو   مَ والنُّجومَ و الفضا

يا ليتني أَسْكُنُهُ   يَعودُ لي ما قَدْ مَضى

(٣٢) أَأَبوحُ؟!

جمالُـــكِ لا يُحاكيــهِ جمــالٌ ... وَدَلُّـــكِ لا يُضــاهيهِ دلالُ

عيونُــكِ جَنَّــةٌ وبهــا مَقــيلي ... رُموشُـكِ غيْمَـةٌ ولهـا ظِـلالُ

وَغُصْنُكِ مْنْ سيولِ العِطْرِ يُسقى ... جـدائِلُكِ النَّسـيمُ لُـهُ اعْـتِلالُ

وَجيــدٌ حــيَّرَ الصُـيَّاغَ مِنْــهُ ... أَمِنْـهُ التِّـبْرُ؟ حَّـيرَني السُّـؤالُ

لَهــا خَــالٌ بِوَجْنَتِهــا بَــديعٌ ... فَبـورِكَ مِنْـكِ خَـدٌّ ثُـمَّ خـالُ

طيورُ الحُبِّ تَسْكُنُ جانِحَيْها ... وفي أَعْطافِهــا يغلــو الخيــالُ

تُؤَلَّــفُ قِصَّــةٌ في حاجِبَيْهــا ... وفي بَسَــماتِها شِــعْرٌ يُقــالُ

جَبينُكِ مُسْـفرٌ ورؤاكِ شـمْسٌ ... فأَنْتِ الحُسْـنُ لـيسَ لَـهُ مِثالُ

وَبَـوْحُ الاسـمِ أَنْغـامٌ ولحـنٌ ... لــهُ وقْــعٌ لِهَيْبَتِــهِ جَــلالُ

وَوَجْـهٌ تسـبَحُ الأَحـلامُ فيـهِ ... فضــاءٌ والضِّــياءُ بــهِ انثيــالُ

هُوَ الوَجْهُ الَّـذي قـدْ قيـلَ فيـهِ ... إذا مــا أَسْـفَرَ السِّـحْرُ الحَـلالُ

فضـوءُ جَبينِهـا مِشْـكاةُ زَيْـتٍ ... وَدُرِّيٌّ بِكَوْكَبِـــهِ اشْـــتِعالُ

غَدَوْتِ لنا نشيدَ الصُّبْحِ يُتلى بطـابورِ الصَّـباحِ بـهِ احْتِفـالُ

فَتَنْتِ العاشـقينَ بِسِـحْرِ لَحْظٍ فَحَـرْبُهُمُ لعيْنَيْـكِ سِـجالُ

فسـالتْ أَنْهُـرٌ وَطَغَـتْ بِحـارٌ لِمَهْـرِكِ دونَـهُ هـانَ المحـالُ

فَمَهْرُكِ ليْسَ في عَـرَضٍ وَمـالٍ وَمَهْرُكِ مَنْ يُطيقُ لَـهُ احْـتِمالُ؟

فـلا أَغْـلى مِـنَ الأَرْواحِ يوْمًـا ولكنْ فيكِ تُرْخَصُ بَلْ تُسـالُ

إليـكِ هفـا مُحِبُّـوكِ اشـتياقًا فَمِنْ غَرْبٍ وَمِـنْ شَرْقٍ تَتَـالوا

تقـاطَرَ سَـيْلُهُمْ أَفْـواجَ عِشْـقٍ إِلَيْكِ الرَّكْبُ يَحْدوهُ الوِصـالُ

كـأَنَّ الأَرْضَ أَقْفَـرَ جانِبَيْهـا فـلا أُنثـى سِـواكِ لهـا يُـمالُ

فأنـتِ فريـدةٌ والأَرْضُ قَفْـرٌ وقدْ خَلَتِ المضاربُ والحِجالُ

فَصِرْتِ المطلَبَ الأسمى لَدَيْهِمْ وغايـةُ سُـؤْلِهِمْ مِنْـكِ النَّـوالُ

ولـولا أَنْ يُقـالَ بـأَنَّ سِرًّا بصدْري ليسَ يضْبِطُهُ اعْتِقـالُ

لأَشْـهَرْتُ الحبيبـةَ يَـوْمَ جَمْـعٍ أَذَعْتُ السِّرَّ وانْحَسَـمَ الجِـدالُ

ولـيسَ لأَنَّنـي أَخْشـى أُناسًـا ولكـنْ لاسْـمِها صَـوْنٌ وفـالُ

(٣٣) لحن

على غُصْنِ قلبي

وَقَفْتُ أُغَنِّي

بِلَحْنٍ شَجِيٍّ

وصَوْتٍ أَبِيٍّ

وأُعْلِنُ أَنِّي

رئيسُ الحُداةِ

كَبيرُ الأُباةِ

ويملأُ صوتي سُهولًا

ويَعْلو جبالًا

فيَسْري وَيُغْري

زُهورَ النَّباتِ

طُيورَ الشُّداةِ

شيوخَ الأَناةِ
فَيَنْهَلُّ غَيْثٌ
وينْسابُ نهرٌ
وَيضحكُ زَهْرٌ
تفيضُ البراري
وتَزْهُو الصَّحاري
تُغنّي جميعًا، تُرَدِّدُ لحني
فلسطينُ زَهْوي
وَجِدِّي ولَـهْوي
وشَوْقي وَلَهْفي

(٣٤) لزيتا

لِزَيْتـــا الشَّـــوْقُ والوَجْـــدُ ... وفيهـــا الحـــبُّ والـــوُدُّ

إلَيْهـــا خَطوُنـــا يمضـــي ... فَلُقياهـــا هـــيَ القَصـــدُ

بهـــا أَهْـــلٌ وأَحبـــابٌ ... شِـــغافُ القلـــبِ تَمْتَـــدُّ

بهـــمْ نَحيـــا فـــأَفراحي ... بلقيـــاهُمْ هـــيَ السَّـــعْدُ

فأنـــتِ اللهْفَـــةُ الكُـــبرى ... وأنـــتِ الوعْـــدُ والعَهْـــدُ

فَثغْـــرُكِ فُلَّـــةٌ تُغْـــري ... وخَـــدُّكِ يـــا لَـــهُ الخَـــدُّ

شـــــقائِقُهُ بِأَحْمَرِهـــــا ... عـــلى الأَزْهـــارِ تَعْتَـــدُّ

وَعُنْقـــــودٌ بِبَسْـــــمَتِها ... لآلـــئَ ضَـــمَّها العِقْـــدُ

وصَـــدْرٌ ناهِـــدٌ قَلِـــقٌ ... عـــلى العُشَّـــاقِ قـــدْ يعْـــدو

جـــدائِلُها غيـــومُ نـــدًى ... عـــلى الكتفـــيْنِ تَرْتَـــدُّ

وَعَـــذْبُ لَمـــاكِ مـــا أَشْـــهى ... فـــلا قَبْـــلٌ ولا بَعْـــدُ

جمالُـــكِ في العيـــونِ بـــدا وذاكَ السَّـــاحِرُ القَـــدُّ

مـــروجٌ كـــالعقودِ حُـــلًى ولؤْلـــؤُ صَـــدْرِها وَرْدُ

جَناهـــا زيْـــتُ زيتـــونٍ وَفَـــوْحُ عبـــيرِهِ نَـــدُّ

فـــلا أحـــلى مِـــنَ الـــوادي عـــلى شـــطآنِهِ نَعْـــدو

بِـــوادِ سُـــطوحِها رَوْضٌ دَواخِلُهـــا المُنـــى تَبْـــدُو

حـــدائِقُها جنائِنُهـــا عـــرائسُ كُلُّهـــا تَغْـــدو

بأَعْنـــابٍ وَرُمَـــانٍ وَمِشْـــمِشْ ثَغْرِهـــا زُبْـــدُ

بِغُصْـــنِكِ غَـــرَّدَ الشَّـــحْرو رُ والقمْـــرِيُّ والمـــجْدُ

ومـــا أَحْـــلى ســـواقيها فَعَـــذْبُ مِياهِهـــا شَـــهْدُ

فَبِرْكَتُهـــا وآبـــارٌ بصـــيفِ حـــرارةٍ بَـــرْدُ

وقُبَّـــةُ حوْشِـــها تَعْلـــو عِـــراقُ الصَّـــخْرَةِ الصَّـــلْدُ

جُبَـــيْلاتٌ خلائِلُهـــا وسُرْكيتـــا لنـــا وَعْـــدُ

عـــلى أشـــجارِها نَعْلـــو كأطيـــارٍ لهـــا نَشْـــدو

وأَيَّـــامٌ مَضَـــتْ فيهـــا هـــيَ الرَّيْحـــانُ والرَّنْـــدُ

وعِشْـــناها جَمـــالَ صِـــبًا حياةُكُلُّهـــا رَغْـــدُ

(قريتي زيتا تقع في الجنوب الغربي على بعد ١٥ كيلو من مدينة نابلس، وهذه أسماء أماكن فيها: قبة الحوش، وعراق الصخرة، والجبيلات، والخلائل، وسركيتا).

(٣٥) الشِّعْرُ وَالشَّاعِرُ

مــاذا يقــولُ الشــعرُ للشــاعرِ　　المبــدعِ الأشــعارَ والسَّــاحِرِ
وباعـــثِ الأوزانِ في خفَّـــةٍ　　ومنصـــفِ الآذانِ والنَّـــاظرِ
مُــدَوْزِنِ الأوْتــارِ في عودِهــا　　وعــازفِ الألحــانِ للسَّــامِرِ
وكاشفِ اليـاقوتِ مـن منجمٍ　　وباعـــثِ الغـــابرِ بالحـــاضرِ
والثَّاقِــبِ الــدُّرَّ لجيــدِ الظِّبــا　　والنَّـــاظمِ العِقْيــانَ والنَّــاثرِ
بســتانُ زهْــرٍ فيــكَ مِــنْ ريحِــهِ　　ما تحمــلُ الأنســامُ مــن عــاطرِ

***

يقــولُ لبيــكَ أَيــا نــاصري　　فأنتَ مَنْ أبهجـتَ لي خـاطري
أَحْييتَ ذكـري في الـدُّنا عاليًـا　　فأنــتَ لي يـا شـاعري نـاظري
أَرَيْتَنــا في الحُسْــنِ مــا لا نــرى　　بَصَّــرْتَ قلبًــا لــيسَ بالبــاصِرِ
قد بعتَ مِنْكَ الرَّاحةَ المشتهى　　لتقطــفَ الأَعْــذاقَ للعـــابرِ
عينـاك مصـباحُ الـدُّجى فـيهِما　　أنــوارُ شــمسٍ بالضِّـيا البِـاهِرِ

وظهـرك المعْـوَجُ جسـرٌ عـلى | بَحْـرِ عطـاءٍ هـادرٍ زاخـرِ
يا عامرَ الليـلِ وَمُحيـي الـدُّجى | حُيِّيتَ بلْ جُوزيتَ مِـنْ عـامرِ
يـا مطلـعَ الأقـمارِ مـن دَجْنِهـا | وقـادِحَ الأفكـارِ بالخـاطرِ
أَوْقَـدْتَ فِينـا شـعلةً نورُهـا | يكادُ يسطو بالضحى الزَّاهـرِ
تغـوصُ للـدُّرِّ ببحـرٍ طمـى | وتُخْـرِجُ الـلألآء مِـنْ هـادِرِ
مِنْ بَحْرِكَ اللؤْلـؤُ تُهـدي المهـا | يـا عجبًـا مِـنْ غـائِصٍ مـاهِرِ
تُهْـدي بـلا مَـنٍّ ولا تَبْتَغـي | نَيْلَ رجـاءِ الشُّكْرِ مِـنْ شَّـاكِرِ
سـيلُ المعـاني منْـكَ يَنْبُوعُهـا | أَرواحُهـا مِـنْ بَعْثِـكَ النَّـاشِرِ
تطـيرُ في الجـوِّ كَنَسْـرٍ عَـلا | لله درُّ الشـاعرِ الطـائرِ
تلـوحُ في الأُفْـقِ ضـياءً بـدا | تسـيرُ سَـيْرَ المثَـلِ السَّـائرِ
تَسْبَحُ كالغيمات تُهـدي النَّـدى | تجـولُ مثـلَ الفلـكِ الـدائرِ
أَيْقَظْتَ في الرُّوحِ جمالَ الـرؤى | أَنَـرْتَ لـيلًا منـكَ للسَّـاهِرِ
زَرَعْتَ في الأَرْضِ بُذورَ النَّدى | رَوَّيْتَهـا مِـنْ مُزْنِـكَ المـاطرِ
أَطْلَقْتَ في الشِّعْرِ سهامَ الوغى | صـقلتَ حَـدَّ الشِّـعْرِ كالبـاترِ

أَشعلْتَ فِي النَّفْسِ حَماسًا سَرى ... رِعْديدُ حَرْبٍ صارَ كالكاسِرِ

يا فارسَ الجُلَّى ومغوارَها ... للهِ دَرُّ الفارسِ القاهِرِ

يا منبعَ الشِّعْرِ بِشِعْرٍ همى ... هيَّا اسقِنا مِنْ نَبْعِكَ الزَّاخِرِ

وَادْفقْ بماءِ الشِّعْرِ يا نَهْرَنا ... وارْوِ عِطاشَ النَّبْتِ بالغامِرِ

(٣٦) مسافر

قــد قيــلَ لي دومًــا بأنــــ ـــني ظــاعنٌ يومًــا مســافرْ

فــاحْزِمْ متاعَــكَ واستَعِــدْ ـــدَ فهــاكَ حجـزُكَ للتَّــذاكِرْ

فعــدا عــليَّ العُمْــرُ أَعْـــ ــــوامًا وأَعْـــوامٌ تُغــادِرْ

وحقـــائبي مفتوحـــةٌ وكـــأَنَّني لا لَـــنْ أُغـــادِرْ

وأنـــا أُراوِحُ في مكـــاني تائِهًـــا أوْ شِـــبْهَ حـــائِرْ

ســتونَ عامًــا في المحطَّـــ ـــةِ دائِـــرًا أَبـــدو كنــاظِرْ

هــذا قِطــارٌ قــدْ مضــى مِـــنْ خلفِـــهِ آتٍ وعـــابِرْ

وأَعُـــدُّها وكـــأَنَّني لِعِـــدادِها العـــدَّادُ حـــاصِرْ

ونســـيتُ أَنِّي راكـــبٌ وعــلى وُصــولٍ ذاكَ صــائِرْ

وَتَمُــــرُّ أَسْرابُ الطُّيـــو رِ تَغيـبُ ، طـيري غـيرُ طـائِرْ

وكـــأَنَّني اســـتُثْنيتُ بَـــلْ أُعْفيـتُ مِـــنْ خِـتْمِ المعـابِرْ

أَأَنــا المقــيمُ عــلى المــدى والجَمْـعُ كُـلُّ الجَمْـعِ سـائِرْ؟

(٣٧) ناديتُ أحزاني

إذا ناديـــــتُ أحـــــزاني	تجيـــئ طيورُهــــا رفَّـــا
تُحـــــوِّمُ في فضـــــاءاتي	تفـــوقُ العـــدَّ والوَصْـــفا
عِـــدادُ جُيوشِــــها تَــتْرى	فـــألفٌ يتبـــعُ الأَلْفـــا
كـــأنِّي النَّصْـــرُ تَطْلُبُنـــي	كَتائِبُهـــا أَتَـــتْ زَحْفـــا
عَـــبَرْتُ تُخومَهـــا الـــدُّنْيا	لَعـــلِّي واجـــدٌ إلْفـــا
وَذُقْـــتُ مَـــرارةَ التَّشْريـــ	ـــدِ ذُقْـتُ العَلْقَـمَ الصِّرْفا
فمـــن جـــافٍ ومـــنْ جـــانٍ	ومـــن راجٍ لـــكَ الحتْفـــا
فلـــمْ أَلْـــقَ سِـــوى سِـــحَنٍ	تَجَهُّمُهـــا بَـــدا عُنْفـــا
وآمـــالي عـــلى العَيُّـــو	قِ أَوْ فَـــوْقَ السُّـــها تُلْفـــى
وأَحْلامـــي غَـــدَتْ بُكْـــمًا	فـــلا صَـــوْتًا وَلا حَرْفـــا

فَـــذي أَرْضي وَذي قُـــدْسي لِأَعْـــدائي غَـــدَتْ وَقْفـــا

وإِخْـــــواني وَأَصْـــــحابي مَضـــى أَحْبـــابِيَ الشُّـــرَفا

عَلَـــيْهِمْ فـــيْضُ أَشْـــجاني فَـــريحُ الفَقْـــدِ قَـــدْ عَصَـــفا

فَـــوا أَسَـــفًا عَـــلى صِـــنْوٍ وَوا حُــــــزْني وَ وا أَسَـــــفا

(٣٨) استشارة طبية

لطبيبِ العِظامِ كانَ المزارُ

قيلَ عَنْهُ بِأَنَّهُ مُسْتَشارُ

قُلْتُ بِاللهِ يا حَكيمُ عِظامي

عانَتِ الدِّسْكَ فالفِقارُ النَّارُ

تَشْتكي الضَّعْفَ لَيْسَ عَنْ نَقْصِ عَدٍّ

دُقَّ فيها زيادةً مِسْمارُ

لَسْتُ واللهِ شاكيًا في ابْتِلائي

إِنَّما الطِّبُّ لِلْعِلاجِ شِعارُ

وأَنا أَسْتَطِبُّ نَهْجَ رسولٍ

هُوَ في الطِّبِّ والشِّفاءِ مَنارُ

جَسَّ نَبْضي وَجَسَّ كُلَّ عِظامي

صورَةٌ قالَ بِالشُّعاعِ اخْتِبارُ

نَعْرِف الدَّاءَ بالأَشِعَّةِ يَبْدو

وَعلى ضُوئِهِ العلاجُ يُصارُ

فَبَدا في الفِقارِ قُرْبٌ وَزَحْفٌ

وَمساميرُ في العِظام صِغارُ

فَدعا لي بحقنةٍ طارَ مِنها

مِنْ عُيوني واللهِ طارَ الشَّرارُ

وَمضى لي بَعْدَ ذلكَ شَهْرٌ

وَشهورٌ ولا يَقِرُّ قرارُ

وَنَديمُ الأَسْحارِ عِنْدي دعاءٌ

اشْفِ يا ربِّ وَحْدَكَ الجَبَّارُ

(٣٩) حوار بين الأمومة والحنان

رأَيْتُ مقابلةً في إحدى الفضائيات مع أمٍّ في مركز المسنِّين، هجرها أولادها، فقلت: دخل الحنانُ غرفة أمٍّ قابعةٍ في ظلامِ مركز المسنِّين، فسمع أنينَها الحارقَ، ورأى دموعَها اللاهبة، وهي تنظر في الفضاء البعيد من نافذتها الصغيرة، علَّها تَرى خيالَ أَحَدِ أَبْنائِها، فكان هذا الحوار:

دُموعُ الأُمومةِ مِنْ عَيْنِها ... تَساقطُ كالغَيْمةِ الهامِيةْ

تَحدَّرُ حبّاتُهُ كاللَّظى ... تلهَّبُ نيرانُهُ الحاميةْ

فَتَحْرِقُ قَلْبًا بها يَكْتوي ... تُجفِّفُ أَنهارَهُ الجاريةْ

فَجاءَ الحنانُ إلى جَنْبِها ... يُكَفْكِفُ أَدْمُعَها الغالِيَةْ

وقالَ بِصَوْتٍ رَقيقٍ حَزينٍ ... أَتبكينَ يا جنَّتي العاليةْ؟

أَتبكينَ يا دفْءَ أَيامِنا ... أَتبكينَ يا شمْسَنا الدافيةْ؟

فأَنْتِ الضِّياءُ وأَنْتِ السَّناءُ ... كُؤوسُ الهناءِ لنا ساقيةْ

أَتبكينَ؟ أَنْتِ لنا روضةٌ ... ظِلالُكِ وارفةٌ حانِيةْ

قُطــوفُ حَنانِــك لا تَنْتَهــي وأَعْــذاقُ أثــمارِكِ الدانيــةْ

أَتبكــينَ؟ والــدَّمْعُ دُرٌّ نفــيسٌ فَـــدَمْعُكِ لؤلـــؤةٌ غاليـــةْ

أَتبكــينَ؟ تبكــي نجــومُ السَّــما وتبكــي اليـنــابيعُ والسّــاقيةْ

وتَبْكي الرياحُ وتَبْكـي الغيـومُ تســحُّ الــدموعَ كــما الغاديــةْ

أَتبكــينَ؟ تبكــي الــدُّنا لوعــةً وَتَبْكـــي حمائِمُنـــا الشَّـــاديةْ

أَنــا إنْ بَكَيْــتِ غَــدَوْتُ اليَتـيمَ وَهَـــمُّ الـــدُّنا فــوقَ أَكْتافيــةْ

فقالت: وهمُّ السِّـنينِ الطِّـوالِ وزفْـراتُ حُـزْنٍ بَـدَتْ عاتيــةْ

حَنانَــكَ يــا مــنْ لَــهُ أَضْــلُعي يحـــلُّ بهـــا الرُّتْبَـــةَ الســـامية

زُرِعْتَ بقلبي فكُنْـتَ النَّخيـلَ بأَعْذاقـــهِ الحُلْـــوةِ الزَّاكيـــةْ

فقسَّـــمْتُها رُطَبًـــا تُشْـــتَهى وَوَزْعْتُهـــا بـــينَ أَوْلاديَـــهْ

لقدْ كنتُ يـا وَلـدي حِضْـنَهمْ وطاعمـــةً كنـــتُ والفاليـــةْ

ومــنْ ثَــدْيِ قلبــي أُروِّيهِــمُ وأَمْضـي عـلى عَطَـشٍ ظاميــةْ

وأَمضي اللَّيـالي إذا مـا شَـكُوا مُمَرِّضَـــــةً بالـــدُّعا راقِيَـــةْ

حيـــاتيَ مِـــنْ أجلهــمْ بِعْتُهــا أَمـــانيَّ دنيـــاهمُ الزاهيـــةْ

فلـما غَـدُوا في شَـبابٍ وريـفٍ ولمّـــةِ شـــعرٍ كَـــما الدَّالِيَـــةْ
نَسُوني وفي رُكْـنِ هـذا المكـانِ رَمُـــوني كَـــما الخِرْقَـــةِ الباليـــةْ
فَهــذي دُمــوعِيَ يــا خــالِقي مــنَ القلــبِ مُوجَعَـــةٌ باكيـــةْ
تَجـــيءُ وحُرقـــةُ أَيّامِهـــا إِلَيْـــكَ بِلَوْعاتِهـــا شـــاكِيَةْ
فأَنْتَ الحَكيمُ وأَنْـتَ البَصيرُ وأَنْـــتَ العلـــيمُ بأَحْواليَـــهْ

(٤٠) جزاءُ الإحسان

هُـــوَ جـــاءَني يَشْــكو الحيـــاةَ ومُرَّهـــا

يَبْكـــي يَـــئِنُّ مُكَـــدَّرًا مَكْســـورا

ودُموعُـــــهُ في الوَجْـــهِ طوفـــانٌ طَـــما

سَـــيْلٌ تَـــدَفَّقَ هـــادرًا وَغَزيـــرا

أَنْفاسُـــــهُ في الصَّـــدْرِ جَمْـــرٌ والَّلظـــى

وشَرارُهُ يأْتيـــــكَ منْـــــهُ زفـــــيرا

ولِســـــانُهُ في حُبْسَـــــةٍ وكأَنَّـــــهُ

مِـــنْ وَقْـــعِ هَـــوْلِ مُصـــابِهِ مَحْصـــورا

ويقـــولُ قـــدْ ضـــاقتْ عـــليَّ برَحْبهـــا

حتَّـــى غـــدوْتُ عَـــدُوَّها المثْبُـــورا

أَقْسَـــمْتُ لـــولا زوجتـــي وصِـــغارُها

لقَضَـيْتُ مِــنْ هــذي الــدُّنا مَنْحــورا

قـــدْ أَحْكَمَـــتْ مِنِّـــي الخنـــاقَ وإنَّهـــا

ضـــاقَتْ عـــليَّ مســـالكًا وَعُبـــورا

وَبِـــأَنَّ أَهْـــلاً حـــاربُوهُ وإخـــوةً

قـــدْ قـــاطعوهُ وازْدَرَوْهُ نُفـــورا

سَـــدُّوا الطَّريـــقَ وأَغلَقـــوا في وَجْهِـــهِ

كُـــلَّ النَّوافـــذِ أَخْرجـــوهُ دُحـــورا

فَالوَجْـــهُ مِـــنْ حُـــزْنٍ عليـــهِ كآبـــةٌ

كَســحابِ ليـــلٍ يَحْمِـــلُ المحْـــذُورا

فيـــهِ السَّـــوادُ مجلِّـــلٌ وَمُجَلْجِـــلٌ

قـــدْ زادَهُ الليـــلُ البَهـــيمُ قُتـــورا

والظَّهْـــــرُ محنِــــيٌّ كــــأَنَّ ســــنينَهُ

زادَتْ عــلى التِّسْــعين عــاشَ دُهــورا

ومَضَــى يُجَمْجِــمُ وَجْهُــهُ نحْــوَ الثَّــرى

قــدْ جِئْــتُ أَنْشُــدُ عَوْنَــك المــأْجورا

فَلَــئِنْ بِفَضْــلِكَ يــا أَخــي واسَــيْتَني

سَـــأَظَلُّ عُمْــري ذاكــرًا وشَــكورا

أَسْـــقَيْتُهُ مـــاءَ الحيـــاةِ مُشَعْشَـــعًا

عَسَـــلاً بـــماءٍ طيِّبًـــا وطَهُـــورا

واشْـــتَرْتُ مِـــنْ زَهْـــرِ الفُـــؤادِ رحيقَـــهُ

وسَـــقَيْتُهُ كـــأْسَ الـــوِدادِ حُبُـــورا

وأَجَرْتُـــــهُ وَأَقَلْتُـــــهُ مِــــنْ عَثْــــرَةٍ

حتّـــى غـــدا في عيْشِــهِ مَيْســورا

لَمّـــا انْتَشـــى وَبَـــدا يَعُـــدُّ نُقُـــودَهُ

وَحِســـابُهُ في البَنْـــكِ صـــارَ كبـــيرا

عـــادَى وَأَعْــرَضَ واسْـــتطالَ مُصَـــعِّرًا

وَعَـــلا لـــهُ صَـــوْتٌ فَصـــارَ جَهـــيرا

وَأَغصَّـــني طَعْـــمَ الجحـــودِ وَعَلَّنـــي

مـــاءَ الصُّـــدودِ مُعَكَّـــرًا وسَـــعيرا

وأَشـــاحَ عنِّـــي وجْهَـــهُ مُتَعَجْرِفًـــا

ومَضـــى يجـــرُّ ثيابَـــهُ مَغْـــرورا

(٤١) صباحَ النَّرْجِسِ الجَبَلي

صـبـاحَ النَّـرْجِسِ الجَـبلي يَمـوجُ بِأَصْـفَرِ الحُلَـلِ
يُطِـلُّ كَوَجْـهِ فاتِنَـةٍ زَهـا مِـنْ حُمْـرَةِ الخَجَـلِ
بِأَكْنـافِ الرُّبـى تَلْهـو بِثَـوْبِ نـاضِرٍ خَضِـلِ
تَميـلُ بِشَـعْرِها الزَّاهـي بغُـنْجٍ فـاتِنٍ جَـذِلِ
وَيَنْهَـلُّ الشَّـذى قَطْـرًا كَغَـيْمٍ مـائِجٍ هَطِـلِ
تَفـيضُ بِعِبْقِـهِ الوِديـا نُ تُهْديـهِ إِلى القُلَـلِ
وَتَنْشُـرُ مِـنْ روائِحِهـا وَتَنْثُرُهـا عـلى السُّـبُلِ
فَتَـنْفَحُ كُـلَّ غاديـةٍ بِعِطْـرٍ فـاءَ كَالظُّلَـلِ
أَريـجٍ مـا لَـهُ مَثَـلٌ يَظَـلُّ يَفـوحُ لَمْ يَـزَلِ
وَجـاءَ الطَّـلُّ يوقِظُهـا وَيُرْسِـلُ وافِـدَ القُبَـلِ

يَضُــــمُّ الخَصْــــرَ مُغْتَبِطًــــا فَتُبْــــدي خشــــيَةَ الوَجِــــلِ
يُـــــــداعِبُها يُناغِشُـــــــها بِشَـــوْقٍ ضَـــجَّ مُشْـــتَعِلِ
يُكَحِّلُهـــــــا بِأَنْســـــــامٍ فَيـــا لِلأَعْـــيُنِ النُّجُـــلِ
يُشَـــــجِّعُها يُراقِصُـــــها فَتُـــذْكي رَقْصَـــةَ الحَجَـــلِ
تَميـــــلُ بِقَـــدِّها المَيّـــا دِ فِعْـــلَ الشّـــارِبِ الثَّمِـــلِ
فغـــارَتْ كُـــلُّ فاتِنَـــةٍ تَقـولُ الوَصْـفُ مِـنْ خَطَـلِ
مقـــالاتُ الشَّـــجِيِّ لَهـــا بِنـــاءٌ بَـــيِّنُ الخَلَـــلِ
حبيـــبٌ عَيْنُـــهُ عَمِيَـــتْ فَمِنْـــهُ الـــرَّأْيُ في زَلَـــلِ
أَيُعْقَـــلُ وَصْـــفُ نَرْجِسَـــةٍ بِحُسْـــنٍ ســـائِرِ المَثَـــلِ
وَمَضْــرِبُ حُسْــنِنا قــدْ ســا رَ عَنّـــا غـــيرَ مُنْتَقِـــلِ
فَقُلْـــتُ: تُرابُهـــا بَلَـــدي يُعـــافي أَرْمَـــدَ المُقَـــلِ
وِيَشْـــفي كَـــلَّ محْـــزونٍ وَمَـــنْ يَشْـــكو مِـــنَ العِلَـــلِ

هُـــوَ السُّـــلوانُ لِلْمَحْـــرو مِ بُـــرْءُ العاشِـــقِ التَّبِـــلِ

فَـــإِنْ تَعْجَـــبْ فَـــلا عَجَـــبٌ فَوَصـــفي غـــيرُ مُكْتَمِـــلِ

فَنَرْجِسُـــــنا بِمَوْطِننـــــا يُصـــاغُ بِنَبْعِـــهِ العَسَـــلِ

ثَـــرى بَلَـــدي هَـــوى كَبِـــدي بِـــهِ أَحيـــا عـــلى أَمَـــلِ

لَقَـــدْ هَيَّجْـــتَ أَشْـــجاني أَريـــجَ النَّـــرْجِسِ الجَـــبَلي

(٤٢) لا زِلْتُ أَحلمُ

لا زِلْـتُ أَحْلُمُ بالمطَرْ ... غيثًا بِهِ أَرْضي تُسَرْ

يَغْشى القُلوبَ بِبَرْدِهِ ... ويُزيلُ عنْها ما اعْتكَرْ

يَجْلو هُمومًا أَوْغَلتْ ... مِنْ هَوْلِها عَشِيَ البَصَرْ

ضاقَتْ بِنا الأَرْضُ اليَبا ... بُ تَضاحَكَتْ مِنَّا الحُفَرْ

وَتقولُ هازِئةً بِنا ... قاعي لَكُمْ أَحْلى مَقَرْ

فأَنا مَفَرُّكُمُ الذي ... مِنْ بَعْدِهِ لا لا مَفَرْ

هذي الشِّفاهُ تَشَقَّقَتْ ... وَتَبَلَّدَتْ مِنَّا الفِكَرْ

شُعْثًا خَرَجْنا نستقي ... نَرْجوكَ يا ربَّ المطَرْ

فالخَطْبُ أَلْقى رَحْلَهُ ... والَّليْلُ خَيَّمَ واستَمَرْ

حُلَكٌ علينا أُحْكِمَتْ ... فالشَّمْسُ غابَتْ والقمَرْ

يــا مَـــنْ إِلَيْــكَ المشْــتكى   نَشــكو وقَــدْ عَــمَّ الضَّرَــرْ

نَرْجــوكَ للعطشــى وللْــــ   غـــرثى فقــدْ طَــمَّ الخَطَــرْ

أَنْـــزِلْ علَيْنــا مِـــنْ غيــو   ثِـــكَ مــا يُبَلِّغُنــا الظَّفَــرْ

ثَبِّـــتْ بِـــهِ أَقْــــدامَنا   وَبِــهِ نُجَـــدِّدُ مــا انـــدَثَرْ

واغِسِــــلْ بِـــهِ حَوْباتِنـــا   لِنُعيـــدَ ماضــينا الأَغَـــرْ

وَأَسِـــلْ بـــهِ وِدْيانَنـــا   لِتَمــيسَ أَغْصــانُ الشَّــجَرْ

فَيَعـــودَ رونَـــقُ حَقْلِنـــا   يزهـــو بِـــأَنْواعِ الثَّمَـــرْ

وَلَـــهُ الطُّيـــورُ الشـــاديا   تُ تُـــدَوْزِنُ العـــودَ الـــوَتَرْ

تَشْـــدو وتَعـــزِفُ لحنَهـــا   والسَّـــهْلُ يشـــدو والـــوَعَرْ

لَحْنًـــا يُـــرَدِّدُهُ الصَّـــدى   نحيـــا بِـــهِ يحيـــا المطَـــرْ

(٤٣) أحلام

هـــيَ الأحـــلامُ تأخـــذنا　　　لأرضِ الشـــوقِ والنشـــوى
وتحمـــل كـــلَّ أُمنيـــةٍ　　　تجـــوزُ فضـــاءَها الأعـــلى
تُمَنِّينـــا بـــدنياها　　　بـــدنيا روضـــها أحـــلى
بـــدنيا غـــيرِ دنيانـــا　　　فـــدنيانا هـــيَ الأدنـــى
ودنيانـــا عـــلى بخـــلٍ　　　تقـــتِّرُ طبعهـــا الأشـــقى
فبخلـــكِ مضرـــبُ الأمثـــا　　　ل إِنْ أعطـــى وإِنْ أَكْـــدى
وأَنـــتِ قبيحـــةٌ تُقـــلى　　　وتلـــكَ جميلـــةٌ وشـــيا
تراهـــا في رؤاكَ ســـنًا　　　عروسًـــا زُيِّنَـــتْ حَلْيـــا
بهـــا الآمـــالُ تـــدعونا　　　نحقِّقُهـــا ولا نشـــقى
ونقطـــفُ كـــلَّ أُمنيـــةٍ　　　بـــلا جُهـــدٍ ولا نضـــحى
وإِنْ كانـــت عـــلى العيـــو　　　ق أو فـــوقَ السُّـــها نأْيـــا

فدنياها لها طعمٌ   كطعمِ المنِّ والسلوى

هيَ الأحلامُ مركبةٌ   تسيرُ بنا فلا نعيا

بلا أجرٍ فندفعهُ   تجوزُ فضاءها الأعلى

بساط الريحِ يحملنا   ويطوي أرضها طيَّا

فتطعمنا وتسقينا   وتلهينا بما ألهى

هيَ الأحلامُ ملجؤنا   نفيء لها من الدنيا

فدنيانا لها نابٌ   كنابِ الصِّلِّ والأفعى

فهرس القصائد